المسيحية والمسيحيون في المشرق الأدنى: التطورات العقائدية والمكانة الاجتماعية في الفترة ما بين القرنين السادس والثامن الميلاديين - دراسة مقارنة

Christianity and Christians in the Near East: Doctrinal Developments and Social Status between the 6th and 8th Centuries AD - A Comparative Study

إعداد

علي بن محمد بن مانع النعمي
Ali Mohammed Mane' Al-Numi
قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة -كلية الشريعة وأصول الدين - جامعة الملك خالد بأبها

أ.د/ عرفات أحمد مقبل
Prof. Arafat Ahmed Moqbel
الأستاذ بكلية الشريعة وأصول الدين – جامعة الملك خالد

Doi: 10.21608/jasis.2026.479239

استـــــلام البحث ٢٩ / ٨ / ٢٠٢٥
قبـــــول البحث ١٥ / ١٠ / ٢٠٢٥

النعمي، علي بن محمد بن مانع ومقبل، عرفات أحمد (٢٠٢٦). المسيحية والمسيحيون في المشرق الأدنى: التطورات العقائدية والمكانة الاجتماعية في الفترة ما بين القرنين السادس والثامن الميلاديين - دراسة مقارنة. ***المجلة العربية للدراسات الإسلامية والشرعية***، المؤسسة العربية للتربية والعلوم والآداب، مصر، ١٠(٣٥)، ٥٦٧-٦٢٢.

http://jasis.journals.ekb.eg

المسيحية والمسيحيون في المشرق الأدنى: التطورات العقائدية والمكانة الاجتماعية في الفترة ما بين القرنين السادس والثامن الميلاديين ـ دراسة مقارنة

المستخلص:

تناولت هذه الدراسة التطورات العقائدية والواقع الاجتماعي للمسيحيين في منطقة المشرق الأدنى خلال فترة تاريخية حرجة ممتدة بين القرنين السادس والثامن الميلاديين، وهي الفترة التي شهدت تحولات كبرى من الحكم البيزنطي وصولاً إلى الفتوحات الإسلامية. هدف البحث إلى رصد الانقسامات اللاهوتية الكبرى التي عصفت بالكنيسة (مثل النزاع حول طبيعة المسيح) وأثر ذلك على تشكيل الهويات الطائفية (الملكانية، اليعقوبية، والنسطورية). كما ناقشت الدراسة المكانة الاجتماعية للمسيحيين وكيف تأثرت بتغير السلطة السياسية، مسلطةً الضوء على مفهوم "العهد والذمة" في ظل الحكم الإسلامي مقارنةً بالاضطهاد المذهبي في العصر البيزنطي. اعتمد الباحث على المنهج الوصفي التحليلي والمنهج المقارن لاستنتاج طبيعة العلاقة بين المعتقد الديني والاستقرار الاجتماعي. وتوصل البحث إلى أن التحول نحو الحكم الإسلامي منح المسيحيين نوعاً من الاستقلالية الإدارية والحماية الدينية التي افتقدوها في الصراعات المذهبية البيزنطية، رغم التحديات العقدية المستمرة.

Abstract:

This study examines the doctrinal developments and social reality of Christians in the Near East during a critical historical period extending from the 6th to the 8th centuries AD. This era witnessed major transformations, transitioning from Byzantine rule to the Islamic conquests. The research aims to track the major theological divisions that shook the Church (such as the controversy over the nature of Christ) and their impact on shaping sectarian identities (Melkite, Jacobite, and Nestorian). Furthermore, the study discusses the social status of Christians and how it was affected by changes in political authority, highlighting the concept of "Dhimma" (protection) under Islamic rule in comparison to sectarian persecution during the Byzantine era. The researcher utilized descriptive-analytical and comparative methodologies to deduce the relationship between religious belief and social stability. The study concludes that the transition to Islamic rule granted Christians a degree of administrative autonomy and religious protection that was absent during Byzantine sectarian conflicts, despite ongoing theological challenges.

تمهيد:

الحمد لله ربِّ العالمين والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا

ISSN: 2537-0405 eISSN: 2537-0413

شريك له، وأشهد أن محمَّدًا عبده ورسوله المبعوث رحمة للعالمين، وأن عيسى ابن مريم عبد الله ورسوله أرسله الله إلى بني إسرائيل ليُصلح حالهم ويخفِّف عنهم ويضع عنهم إِصْرَهم والأغلالَ التي كانت عليهم، والصلاة والسلام على رسل الله أجمعين من لدن آدم إلى محمد، الذين علَّموا البشرية التوحيد ورسموا لها سبيل الفضيلة والنجاة.

وبعد..

تعرَّضت كلُّ الرسائل السماوية قبل رسالة محمد ﷺ إلى التحريف والتبديل من طرف أعداء الله تعالى وأنبيائه عليهم السلام.

والقرآن الكريم تحدَّث عن هذه التحريفات في أيِّما موضع، أذكر منها قوله تعالى: ﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾ [البقرة: ٧٩].

ومن بين الرسالات السماوية التي حُرِّفت سأخصُّ حديثي في هذه الدراسة عن رسالة عيسى عليه السلام إلى بني إسرائيل، ولن آتي على بداية التحريف وإنما سأقتصر على الفترة من القرن السادس ميلادي إلى القرن الثامن ميلادي، من خلالها سأتكلم عن تطور الديانة النصرانية والجماعات النصرانية من حيث العقائد والشرائع والنصوص، وكذا الكنائس والفِرَق والمجامع، ولا شك أن لهذا التطور أسبابًا ومظاهرَا وآثارًا سأوضِّحها تباعًا.

تزامنت هذه الحقبة التاريخية مع بداية العصر الوسيط وفكره وفلسفاته، وأيضًا التقت فيها النصرانية بالإسلام؛ وبالتالي حدثت هناك مجموعة من النتائج والآثار المثيرة للاهتمام والتي أدت إلى تطور النصرانية والنصارى.

الإشكالية:

إن النظر في نشأة وتطور العقائد الدينية يفيد في كيفية الرد عليها من حيث البطلان والفساد، وكذلك يفيد معرفة مصادر نشأة تلك العقائد، والديانة النصرانية واحدة من أكبر الديانات في العالم التي مرَّت بكثير من التطورات عبر أزمنة تاريخية عديدة ومتوالية، فهي بدأت في وسطٍ يهودي مضطهد للنصارى ولم يكتفي بذلك حتى غيَّر فحوى الدعوة الأولى، مرورًا بالحكم الروماني الذي اختلف فيه الباحثون: هل النصرانية التي أثَّرت فيه أم النصرانية هي من ترومنت، والفلسفة اليونانية اختلطت بالوثنية فأدخلت التعددية الإلهية من تثليثٍ وشركٍ مع التوحيد الخالص الذي جاء به المسيح عليه السلام.

وعليه: يأتي سؤالي الرئيس في هذه الدراسة؛ ألا وهو:

ما أهم التطورات التي طرأت على الديانة النصرانية والجماعات النصرانية ما بين القرن السادس الميلادي والقرن الثامن الميلادي؟

مما يدفعني إلى طرح التساؤلات الفرعية الآتية:

ISSN: 2537-0405 eISSN: 2537-0413

١- ما مفهوم التطور الديني وما هي مدارسه ومناهجه؟

٢- ما التطورات التي حدثت في النصرانية من حيث العقيدة والنصوص والشرائع من القرن السادس الميلادي إلى القرن الثامن الميلادي؟

٣- ما التطورات التي حدثت مع الجماعات النصرانية من حيث الفِرَق والكنائس والمجامع من القرن السادس الميلادي إلى القرن الثامن الميلادي؟

٤- ما مظاهر تطور النصرانية خلال هذه الفترة التاريخية؟

٥- ما العوامل المؤثرة في تطور النصرانية والجماعات النصرانية خلال هذه الفترة؟

أسباب اختيار الموضوع:

السبب الذاتي: شغفي في البحث في مجال الأديان وتاريخها، وخاصة الأديان الكتابية.

الأسباب الموضوعية:

- مرَّت النصرانية -إلى اليوم- بتطورات تراكمت عبر التاريخ لم يسلَّط الضوء إلا على البدايات، في حين نجد أن مطلع القرون الوسطى وهو من القرن السادس إلى الثامن الميلادي لم يحظَ ببحثٍ واسعٍ رغم ما حدث فيه من تطورات داخل الديانة النصرانية.

- ما نجده الآن في كتب التاريخ معظمه من لدن باحثين نصارى تحدَّثوا عن الفترات التاريخية التي مرت بها النصرانية؛ فكان لزامًا أن ننوِّه بالذكر عن مرحلة التقاء النصرانية بالإسلام وما الآثار والنتائج في ذلك.

أهمية الموضوع:

١. صحيح أن البحوث في النصرانية والنصارى كثيرة، إلا أن الفترة ما بين القرن السادس والقرن الثامن الميلادي لم تحظَ بدراسات خاصة رغم ما طرأ فيها من تغيُّرات.
٢. كانت بداية القرن السادس الميلادي مرحلة تزامن الإسلام مع النصرانية وما حدث فيها من تغيُّرات، فكان من المهم أن أوضِّحها.
٣. الاضطهادات الكبيرة التي مرت بها الجماعات النصرانية بعد الاضطهاد اليهودي في القرون الأولى -على سبيل المثال: اضطهاد الفرس للنصارى في سوريا- يجدر أن أوضِّحها؛ فهي أدت إلى تطورات داخل الجماعات النصرانية.
٤. انقسام الكنيسة إلى شرقية وغربية في تلك الفترة التاريخية؛ من المهم أن ننوِّه بها.
٥. كانت بداية القرن الثامن الميلادي بداية الحروب الصليبية وهي فترة حافلة ومهمة في تطور النصرانية والجماعات النصرانية.

ISSN: 2537-0405 eISSN: 2537-0413

أهداف الدراسة:

تتمثل أهداف هذا البحث في الآتي:

١. إعطاء مفهوم للتطور الديني يهدف إلى معرفة وتقصِّي التطورات التي حدثت للنصرانية عبر التاريخ.
٢. معرفة التطورات التي حدثت في النصرانية من حيث العقيدة والنصوص والشرائع من القرن السادس الميلادي إلى القرن الثامن الميلادي.
٣. التعرف على التطورات التي حدثت مع الجماعات النصرانية من حيث الفِرَق والكنائس والمجامع من القرن السادس الميلادي إلى القرن الثامن الميلادي.
٤. تسليط الضوء على مظاهر تطور النصرانية خلال هذه الفترة التاريخية.
٥. بيان العوامل المؤثرة في تطور النصرانية والجماعات النصرانية خلال هذه الفترة.

حدود البحث:

الديانة النصرانية، والجماعات النصرانية في الحقبة التاريخية ما بين القرن السادس والقرن الثامن الميلادي، وأخيرًا: الحدود الزمنية وهي الحقبة التاريخية ما بين القرن السادس والقرن الثامن الميلادي.

الدراسات السابقة:

بعد البحث فيما كُتب عن تطور النصرانية من القرن السادس الميلادي إلى القرن الثامن الميلادي، لم أجد إلا بعض الدراسات القليلة وأغلبها تلك التي تحدثت عن الموضوع في جزئية من الموضوع الرئيس، وسأذكرها مختصر ما ورد فيها، وسأبيّن ما أزيد عليها أو سأنقد بعض الذي ذكر فيها أو ما سأستفيد منها:

❍ **الدراسة الأولى:((كتاب تحريف رسالة المسيح عليه السلام عبر التاريخ أسبابه ونتائجه)):** تأليف بسمة أحمد جستنيه، صادر عن دار القلم بدمشق سوريا، سنة ١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠ مـ.

- **الوصف الخارجي:** يحتوي على ٤٥٥ صفحة بغلاف خشن.
- **الوصف الداخلي:** يحتوى على ثلاثة أبواب كل باب يندرج تحته ثلاثة فصول.

ما يتفق مع بحثي في هذه الدراسة أن الباحثة عنونت الفصل الثالث من الباب الأول: بالآتي: "النصرانية والنصارى من رفع عيسى عليه السلام إلى ١٩٦٥م"، وأتت على أهم التبديلات التي طرأت على الديانة في هذه المراحل التاريخية وشملت المرحلة التي أريد بحثها، لكنني سأبحثها بشيء من التوسع والتدقيق إذا سأضبط دراستي من القرن السادس إلى القرن الثامن الميلادي فقط، لذلك سأستفيد منها في هذا الجانب وأيضًا سأضيف عليها مظاهر التطورات التي أصابت النصرانية، وأيضًا آثار تلك التطورات.

❍ **الدراسة الثانية: ((تطور الديانة المسيحية حتى القرن السابع الميلادي العقيدة أنموذجًا)):** رسالة دكتوراه للباحث لعمش عبد الحفيظ، سنة المناقشة ١٤٣٧هـ،

ISSN: 2537-0405 eISSN: 2537-0413

٢٠١٦م، من جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة- الجزائر، قسم العقيدة ومقارنة الأديان. احتوت الدراسة على ثلاثة أبواب يندرج تحت كل منها فصلان، سأستفيد من هذه الدراسة الجزئية التي ذكر فيها الباحث التطور الديني حيث سأمهّد لدراستي بهذا المجال حتى يتسنَّى للقارئ ربط موضوع الدراسة بجذوره التاريخية والمعرفية، ثم أتى الباحث إلى إرجاع التطور التاريخي للنصرانية بعصرها اليهودي؛ ومن ثم قصر بحثه على تطور العقيدة، أما في دراستي فسأزيد عليه في التطرق لكل جوانب التطور الديني للنصرانية، وأيضًا سأضيف في دراستي فترة تاريخية إلى القرن الثامن الميلادي حيث أنه توقف في القرن السابع الميلادي فقط علمًا أنه من بعد هذه الفترة حدثت تطورات عديدة على الديانة سآتي عليها في فصول الدراسة.

منهج الدراسة: تعتمد في هذه الدراسة على عدة المنهج التحليلي النقدي.

مفهوم النصرانية والنصارى والقرن والميلاد، وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: مفهوم النصرانية.

النصرانية لغة: قيل: نسبة إلى نصرانة، وهي قرية المسيح عليه السلام من أرض الجليل، وتسمى هذه القرية ناصرة ونصورية، والنسبة إلى الديانة نصراني، وجمعه نصارى[١].

وفي معجم لغة الفقهاء: "والنصراني: بفتح فسكون مفرد وجمعه نصارى، نسبة إلى نصران أو الناصرة، وهي قرية في الخليل من فلسطين بلد عيسى المسيح - عليه السلام -"[٢].

النصرانية اصطلاحاً:

هي الدين الذي انحرف عن الرسالة التي أُنزلت على عيسى عليه الصلاة والسلام، مكمِّلة لرسالة موسى عليه الصلاة والسلام، ومتممة لما جاء في التوراة من تعاليم، موجهة إلى بني إسرائيل، داعية إلى التوحيد والفضيلة والتسامح، ولكنها جابهت مقاومة واضطهاداً شديداً، فسرعان ما فقدت أصولها، مما ساعد على امتداد يد التحريف إليها، فابتعدت كثيراً عن أصولها الأولى لامتزاجها بمعتقدات وفلسفات وثنية[٣].

فالنصرانية هي دين النصارى الذين يزعمون أنهم يتبعون المسيح عليه السلام، وكتابهم الإنجيل. وقد أطلق على أتباع الديانة النصرانية في القرآن الكريم نصارى، وأهل الكتاب، وأهل الإنجيل، وهم يسمون أنفسهم بالمسيحيين نسبة إلى المسيح عليه السلام ويسمون ديانتهم "المسيحية". وأول ما دُعيَ النصارى "بالمسيحيين" في

---

(١) انظر: المفردات للراغب الأصفهاني (ص:٤٩٥)، القاموس المحيط (ص:٦٢٢).

(٢) معجم لغة الفقهاء، قلعجي (٤٨١/١).

(٣) الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، مجموعة من المؤلفين (٥٦٤/٢).

ISSN: 2537-0405 eISSN: 2537-0413

أنطاكية حوالي سنة ٤٢م، ويرى البعض أن ذلك أول الأمر كان من باب الشتم، ولم ترد التسمية بالمسيحية في القرآن الكريم ولا في السنة [٤].

المطلب الثاني: مفهوم النصارى.

النصارى لغة: قال الجوهري: "والنَصارى: جمع نَصرانٍ ونَصْرانةٍ، مثل الندامى جمع نَدْمانٍ ونَدْمانةٍ. ولكن لم يستعمل نَصْرانٌ إلا بياء النسب، لأنَّهم قالوا: رجلٌ نَصْرانيٌّ وامرأةٌ نَصرانيَّةٌ. ونَصَّرَهُ: جعله نَصْرانِيًّا، وفي الحديث: (فأبواه يُهَوِّدانِهِ ويُنَصِّرانه)[٥]،[٦].

وقال ابن سيده: "ويُقال: أنْصَارٌ وأَنَاصِيْرُ. والتَنَصرُ: الدخوْلُ في النَصْرَانِيةِ، وهم يُنْسَبُونَ إلى قَرْيَةٍ يُقال لها نَصُوْرِيَّةُ. ونَصْرَانَة: في مَعْنى نَصْرَانِيَّةٍ"[٧].

فتبين من التعريف اللغوي أن اسم النصارى نسبة إلى بلدة نصران أو الناصرة، وهي القرية التي ولد فيها عيسى - عليه السلام -.

النصارى اصطلاحاً: قال الشهرستاني: "أمة المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته -عليه السلام- وهو المبعوث حقاً بعد موسى - عليه السلام - المبشر به في التوراة"[٨].

فلفظ النصارى أطلق على أتباع الديانة النصرانية في القرآن الكريم، ولهم عدة مسميات منها: النصارى، في أكثر من ثمانية مواضع في كتاب الله عز وجل، ومنها: وأهل الكتاب، في أكثر من ثلاثين موضعاً، ومنها: أهل الإنجيل، وهم يسمون أنفسهم بالمسيحيين نسبة إلى المسيح -عليه السلام-، ويسمون ديانتهم المسيحية، وهذا اللفظ لم يرد لا في الكتاب ولا السنة كما أسلفنا سابقاً[٩].

المطلب الثالث: مفهوم القرن.

القرن لغة: قال ابن فارس: " (قَرَنَ) الْقَافُ وَالرَّاءُ وَالنُّونُ أَصْلَانِ صَحِيحَانِ، أَحَدُهُمَا يَدُلُّ عَلَى جَمْعِ شَيْءٍ إِلَى شَيْءٍ، وَالْآخَرُ شَيْءٌ يَنْتَأُ بِقُوَّةٍ وَشِدَّةٍ، وَالْقَرْنُ: الْأُمَّةُ مِنَ النَّاسِ[١٠].

القرن اصطلاحاً: قال ابن الأثير: "والقرن: أهل كل زمان، وهو مقدار التوسط في أعمار أهل كل زمان. مأخوذ من الاقتران، وكأنه المقدار الذي يقترن فيه أهل ذلك الزمان في أعمارهم وأحوالهم. وقيل: القرن: أربعون سنة. وقيل: ثمانون. وقيل: مائة.

---

(٤) انظر: دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية، سعود الخلف (ص:١٦٣).

(٥) رواه البخاري، كتاب الجنائز، باب إذا أسلم الصبي فمات (٢٨٠/٥)، رقم (١٣٥٨)، ومسلم، كتاب القدر، باب معنى كل مولود يولد على الفطرة (٢٠٤٧/٤)، رقم (٢٦٥٨).

(٦) الصحاح في اللغة (٣٩٣/٣).

(٧) المحيط في اللغة .

(٨) الملل والنحل (٢٥/٢)

(٩) ينظر: معالم التوحيد في فاتحة الكتاب، عرفة طنطاوي (ص:٤٢٩).

(١٠) معجم مقاييس اللغة (٧٦/٥-٧٧).

ISSN: 2537-0405 eISSN: 2537-0413

وقيل: هو مطلق من الزمان. وهو مصدر: قرن يقرن، ومنه الحديث «أنه مسح على رأس غلام وقال: عش قرنا، فعاش مائة سنة"(١١).

وقال الراغب: والقَرْنُ: القوم المُقْتَرِنُونَ في زمن واحد، وجمعه قُرُونٌ. قال تعالى﴿ وَلَقَدۡ أَهۡلَكۡنَا ٱلۡقُرُونَ مِن قَبۡلِكُمۡ ﴾ [يونس/ ١٣] ، وقال: ﴿ وَكَمۡ أَهۡلَكۡنَا مِنَ ٱلۡقُرُونِ ﴾ [الإسراء/ ١٧]، وقال: ﴿ وَكَمۡ أَهۡلَكۡنَا قَبۡلَهُم مِّن قَرۡنٍ ﴾ [مريم/ ٩٨](١٢).

وقال الرازي: فإن قيل: ما القرن؟ قلنا: قال الواحدي: "القرن القوم المقترنون في زمان من الدهر فالمدة التي يجتمع فيها قوم ثم يفترقون بالموت فهي قرن، لأن الذين يأتون بعدهم أقوام آخرون اقترنوا فهم قرن آخر، والدليل عليه قوله عليه السلام: «خير القرون قرني»(١٣). واشتقاقه من الأقران، ولما كان أعمار الناس في الأكثر الستين والسبعين والثمانين لا جرم قال بعضهم: القرن هو الستون، وقال آخرون: هو السبعون، وقال قوم هو الثمانون.

والأقرب أنه غير مقدر بزمان معين لا يقع فيه زيادة ولا نقصان، بل المراد أهل كل عصر فإذا انقضى منهم الأكثر قيل قد انقضى القرن(١٤).

وقد اختلف العلماء في تحديد مدة القرن، فقال الجمهور: مائة سنة، وقال غيرهم: وقيل: مائة وعشرون سنة، وقيل: ثمانون، وقيل: سبعون، وقيل: ستون، وقيل: أربعون، وقيل: ثلاثون، وقيل: عشرون(١٥).

وضعّف ابنُ عطية تلك الأقوال في تحديد مدة القرن، وقال: بأن القرن يكون بوفاة الأشياخ وولادة الأطفال(١٦). واستدرك عليه السمين ذلك؛ فقال: بأنّ ما ذهب إليه غير واضح(١٧).

والراجح والله أعلم: أنّ القَرْن في القرآن يراد به القوم أو الأمة من الناس؛ سمّوا بذلك لاقترانهم في مدة من الزمن، وأما القرن في الاصطلاح العام فيطلق على الزمن

---

(١١) النهاية في غريب الحديث والأثر (٥١/٤).

(١٢) المفردات في غريب القرآن (ص:٦٦٧).

(١٣) رواه البخاري، كتاب الشهادات، باب لا يشهد على شهادة جور إذا أشهد (١٧١/٣)، رقم (٢٦٥١)، ومسلم، كتاب الفضائل، باب فضل الصحابة ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم (١٨٥/٧)، رقم (٢٥٣٣).

(١٤) التفسير الكبير (٤٨٤/١٢).

(١٥) ينظر: تفسير القرآن العزيز، لابن أبي زمنين (٥٩/٢)، زاد المسير في علم التفسير، ابن الجوزي (٩/٢)، تفسير البيضاوي (١٥٤/٢).

(١٦) المحرر الوجيز (٢٦٩/٢).

(١٧) ينظر: الدر المصون (٥٤٠/٤).

ISSN: 2537-0405 eISSN: 2537-0413

وعلى القوم، وفي غير القرآن يطلق غالباً على مائة عام من الزمن(١٨).

المطلب الرابع: مفهوم الميلاد:

الميلاد لغة: قال الجوهري: (مِيلَادُ) الرَّجُلِ اسْمُ الْوَقْتِ الَّذِي وُلِدَ فِيهِ(١٩). فمِيلاديّ مفرد: اسم منسوب إلى مِيلاد: والمراد: ميلاد المسيح عليه السلام(٢٠).

الميلاد اصطلاحاً: اسم علم مذكر من أصل عربي، معناه هو من الفعل ولد، وضع الولد، وقت الولادة، تاريخ المولد.

دور بولس في تحريف عقيدة النصارى

رفع الله عيسى عليه الصلاة والسلام إليه وقد قام بدوره في تبليغ الشريعة، وحدَّد معالم الديانة التي جاء بها مصطلحًا ومفهومًا وممارسةً بشِقَّيْهَا؛ العقدي والفقهي، فهذه العقيدة في مبناها ومعناها كانت صادرة عن ربِّ الأرباب، حتى دخلها التحريف والتبديل على مراحل عدَّة، فأخذت تنمو وتتطور وتأخذ كل يوم شكلًا آخر حتى أصبحت في حالٍ من التشبُّع بالعقائد الوثنية، والفذلكة الفلسفية التي غطَّت شكل الديانة النصرانية الصحيحة.

إن هذا التطور والدَّخَل الذي انتهت إليه الديانة النصرانية، ووقفت عنده مرَّت بمراحل متعدِّدة كان من أبرزها ما أحدثه بولس اليهودي من تحوُّل وتطوُّر وتبدُّل وقضايا أخرى استوقفت كثيرًا من الكُتَّاب والباحثين، ودعتهم إلى نسبة عقيدة النصارى إلى بولس لا إلى عيسى عليه الصلاة والسلام، فقال بعضهم(٢١): "ولو جاز انتساب الكنيسة لأحد الرسل، لانتسبت لبولس؛ لأنها تأسَّست على يده بنوعٍ خاصّ"(٢٢).

ويقول هربرت ويلز(٢٣): "وظهر للوقت معلِّمٌ آخر عظيم يعدُّه كثيرٌ من الثقات العصريين المؤسِّس الحقيقي للمسيحية وهو شاول الطرسوسي أو بولس"(٢٤).

---

(١٨) وهذا قول الجمهور في مدة القرن. ينظر: المحرر الوجيز لابن عطية (٢٦٨/٢)، تفسير القرطبي (٣٩١/٦)، تفسير أبي حيان (٤٢٦/٤).

(١٩) مختار الصحاح (ص:٣٤٥).

(٢٠) ينظر: معجم اللغة العربية المعاصرة، أحمد مختار (٣/ ٢٤٩٣).

(٢١) بنيامين بنكرتن، يقال له خادم الرب، وله شروح على الأناجيل الأربعة.

(٢٢) تفسير إنجيل متى، إرسالية الإثني عشر (إصحاح ١٠:١-إصحاح ١١:١؛ مرقس ٣:١٣-١٩؛ ٦:٧-١٣؛ لوقا ٦:١٢-١٦؛ ٩:١-٦).

(٢٣) هربرت جورج ويلز: أديب ومفكر إنجليزي، يعدُّ الأب الروحي لأدب الخيال العلمي، توفي سنة: ألف وتسعمائة وست وأربعين، انظر: رؤى تأصيلية في طريق الحرية، صالح عبد الرحمن الحصين، مكتبة العبيكان، ط١، ١٤٣٧هـ-٢٠١٦م، (ص: ٨٦).

(٢٤) معالم تاريخ الإنسانية، هربرت جورج ويلز، ترجمة: عبد العزيز توفيق جاويد، الطبعة: الثالثة، ١٩٦٣م، (٢٦/٣).

ISSN: 2537-0405 eISSN: 2537-0413

ويقول مايكل هارت(٢٥): "إنه بولس الرسول... وهو أكبر المبشِّرين بالمسيحية، وكان أثره في الديانة المسيحية هائلًا... وبولس الرسول هذا هو المسؤول الأول عن تحويل الديانة المسيحية من مجرد طائفة يهودية إلى ديانة كبرى، وهو المسؤول عن تأليه المسيح، بل إن بعض فلاسفة المسيحية يرون أنه هو الذي أقام المسيحية وليس المسيح"(٢٦).

ويقول الفيلسوف الروسي تولستوي(٢٧): "إن بولس لم يفهم تعاليم السيد المسيح ولم يَرَهُ قَطُّ في حياته، ومن ثَمَّ فلم يكن من حواريِّيه؛ وبالتالي لم يتلقَّ تعاليمه منه مباشرةً؛ الأمر الذي جعله يطمس هذه التعاليم بتفسيراته التعسُّفية. إن الأقوال الواردة في كتب العهد القديم، لا تدل على أن يسوع هو الله ولا ابن الله"(٢٨).

ويقول تشارلز دود(٢٩): "إن الرسائل البولسية كثيرًا ما تُعارِض الأناجيل "(٣٠)، ويقول بعضُ مؤلِّفيهم: "يُعتبر الرسول بولس أهمَّ شخصية ظهرت في تاريخ المسيحية بعد المسيح نفسه، ولقد وضح -في خدمته الواسعة المتصلة وغيرته المتَّقدة للعمل الذي يقوم به وكتاباته الكثيرة- أنه الرجل الذي استطاع أن يفهم عمل سيِّده ويفسِّره أكثر من أيِّ رجلٍ آخر، وكاتب سِفْر الأعمال"(٣١).

إن الناظر إلى هذه النُّقول يجد أنها أوجزت واختصرت ما فعله بولس في عقيدة النصارى بأدقِّ العبارات لفظًا، وأكثرها في المعاني حظًّا، ولم يكن هذا الرأي عن بولس محصورًا ولا مقصورًا في هذه العبارات، بل إن المتأمل في ثنايا الكتب يجد أن بولس كانت له اليدُ الطُّولى والعنايةُ التَّامَّة في تحويل عقيدة النصارى من دينٍ سماويّ إلى اعتقادٍ وثنيّ.

ويلحظ القارئ ذلك الحَطَّ منه، وتوجيه الشتائم إليه من صدورٍ حانقةٍ لما فعله

---

(٢٥) مايكل هارت، أمريكي الجنسية، ولد في سنة: ألف وتسعمائة واثنتين وثلاثين، وألَّف كتابًا ذاع صيته، مائة رجل في التاريخ، وقد وضع النبيَّ ﷺ على رأس هؤلاء المئة.

(٢٦) الخالدون مائة أعظمهم محمد ﷺ، مايكل هارت، ترجمة: أنيس منصور، المكتب المصري الحديث، (٢٣-٢٤).

(٢٧) الكونت ليف نيكولايافيتش تولستوي، ولد سنة: ألف وثمانمائة وثمان وعشرين، وتوفي سنة: ألف وتسعمائة وعشر، اشتهر بكتاباته الإصلاحية والدعوة للسلام.

(٢٨) ماذا تعرف عن المسيحية، عبد الفتاح حسين الزيات، مركز الراية للنشر والإعلام، الطبعة: الثالثة، ٢٠٠٣م، (ص:٥٦).

(٢٩) تشارلز هارولد دود، بروتستانتي بريطاني مشهور، ألَّف المؤلفات العديدة، وشرح الأناجيل، ولد في ويلز سنة: ألف وثمانمائة وأربع وثمانين، وتوفي سنة ألف وتسعمائة وثلاث وسبعين وقد شاخ.

(٣٠) اختلافات في تراجم الكتاب المقدس وتطورات هامة في المسيحية، أحمد عبد الوهاب، مكتبة وهبة، (ص: ٩٢).

(٣١) المدخل إلى العهد الجديد، القس فهيم عزيز، دار الثقافة المسيحية-دار الجيل للطباعة، القاهرة، (ص:٣٤٤).

ISSN: 2537-0405 eISSN: 2537-0413

بعقيدة النصارى؛ إذ لم يقتصر على التبديل فقط، بل أدخل إلى النصرانية قضايا عدَّة تربو على ما جاء به عيسى عليه الصلاة والسلام، وقام بطمس ديانة المسيح عيسى، والمجيء بنظريَّاته التي حلَّت مكان الديانة النصرانية الحقيقية؛ لهذا كان لزامًا أن نُفرد مطلبًا للحديث عنه؛ وذلك لعظيمِ خطره، وكبيرِ ضرره، وسيّئِ أثره، وهدمِ تعاليم المسيح وشريعته وجعلِها نسيًا منسيًّا، وسنتعرَّف على ذلك كله في هذا المطلب من خلال مسائل عدَّة:

المسألة الأولى: علاقة بولس بالنصرانية ودوره في تحريفها:

المتأمل في حياة هذا الرجل يجد أنه كان من ألدِّ الأعداء وأشدِّهم فتكًا بأتباع المسيح يقتلهم ويسجنهم ويطاردهم من مكان إلى آخر كما سبق في قوله عن نفسه: "سمعتُم بسيرتي قبلًا في الديانة اليهودية أنِّي كنتُ أضطهدُ كنيسة الله بإفراطٍ وأُتلفها"(٣٢)، واختراعه قِصَّةً ليأمنه النصارى؛ لكونه ليس من تلاميذ المسيح، ولا من حواريّيه، بل لم يَرَهُ قَطُّ، مع أن التناقض في هذه القصة وغيرها يبدو جليًّا واضحًا لأول وهلة وعند أدنى نظرٍ أو تأمُّل، ويشهد لهذا قولُهُ في القصة: "وَأَمَّا الرِّجَالُ الْمُسَافِرُونَ مَعَهُ فَوَقَفُوا صَامِتِينَ يَسْمَعُونَ الصَّوْتَ وَلَا يَنْظُرُونَ أَحَدًا"(٣٣).

فالرجال المسافرون معه سمعوا صوت المسيح عليه الصلاة والسلام، ولكنهم صمتوا ولم ينبسوا ببنتِ شَفَةٍ لكونهم يسمعون صوتًا ولا يرون أحدًا، وهذا الكلام مناقض لما قاله في موطنٍ آخر: "وَالَّذِينَ كَانُوا مَعِي نَظَرُوا النُّورَ، وَارْتَعَبُوا، وَلكِنَّهُمْ لَمْ يَسْمَعُوا صَوْتَ الَّذِي كَلَّمَنِي"(٣٤)، فنفى النظر في الرواية السابقة وأثبته في هذه، وهناك أثبت السَّمَّاع ونفاه هنا، فكيف الجمعُ بين هذا وذاك؟! ومما ينبغي التنبيه عليه ولفت النظر إليه أن هناك من يفسِّر تحوُّله بتفسيرات عدَّة لا علاقة لها بالكلام الذي ذكره بولس مع تناقضه الذي بَيَّنَّاه آنفًا، ومن ذلك ما قاله ول ديورَانت(٣٥):

"ولعلَّ ما قاساه من التعب في سفره الشَّاقِّ الطويل في شمس الصحراء اللَّفِحَة، أو لعلَّ ومضةَ برقٍ في السماء ناشئة من شدة الحرارة، لعلَّ شيئًا من هذا أو ذاك كله قد أثَّر في جسمٍ ضعيف، رُبَّما كان مصابًا بالصَّرَع، وفي عقلٍ يعذِّبه الشَّكُّ والإجرام"(٣٦)، فالقضية عند ولْ ديورَانت تتعلَّق بمرضٍ عقليّ أو جسديّ أوصله

---

(٣٢) رسالة بولس الرسول إلى أهل غلاطية (١: ١٣).

(٣٣) أعمال الرسل (٧/٩).

(٣٤) أعمال الرسل (٩/٢٢).

(٣٥) ويليام جيمس ديورانت، فيلسوف، مؤرخ وكاتب أمريكي، من أشهر مؤلفاته كتاب «قصة الحضارة» والذي شاركته زوجته اليهودية أرييل ديورانت في تأليفه، ولد سنة: ألف وثمانمائة وخمس وثمانين، وتوفي سنة: ألف وتسعمائة وإحدى وثمانين، انظر: المؤرخ ويل ديورانت (١٨٨٥-١٩٨١م) وآراء له عن أهمية القرآن الكريم في كتاب " قصة الحضارة " -عرض ونقد- ، الشريف، مجلة كلية الشريعة، جامعة الزرقاء، ٢٠٢٣م، (ص:٢٣٣).

(٣٦) قصة الحضارة، ول وأرييل ديورانت، مرجع سابق، (١١/ ٢٥٣).

ISSN: 2537-0405 eISSN: 2537-0413

إلى هذا القول، وهذا ما أثبته بعضُ الأطباء الأمريكيين. ولم يقتصر مرضه على قضية سماعه ورؤية المسيح، بل كانت أفكاره في دعوته منوطة بمرضه.

وهكذا يجري الحديث عنه على سَنَنٍ من الاعتراف وقلَّة الاختلاف في تناقضه وتأثير المرض العقلي والجسمي في غالب ما صدر عنه، ومن أجلِ هذا لم يكن مَن بقي من تلاميذ المسيح يثقون به، إذ كيف تحوَّل في عشيَّةٍ وضُحَاها من خصمٍ ألدَّ إلى حليفٍ ناصرٍ يسعى لنشر المسيحية، ومن ذلك ما جاء في أعمال الرسل: "وَلَمَّا جَاءَ شَاوُلُ إِلَى أُورُشَلِيمَ حَاوَلَ أَنْ يَلْتَصِقَ بِٱلتَّلَامِيذِ، وَكَانَ ٱلْجَمِيعُ يَخَافُونَهُ غَيْرَ مُصَدِّقِينَ أَنَّهُ تِلْمِيذٌ. فَأَخَذَهُ بَرْنَابَا(٣٧) وَأَحْضَرَهُ إِلَى الرُّسُلِ، وَحَدَّثَهُمْ كَيْفَ أَبْصَرَ الرَّبَّ فِي الطَّرِيقِ وَأَنَّهُ كَلَّمَهُ، وَكَيْفَ جَاهَرَ فِي دِمَشْقَ بِاسْمِ يَسُوعَ. فَكَانَ مَعَهُمْ يَدْخُلُ وَيَخْرُجُ فِي أُورُشَلِيمَ وَيُجَاهِرُ بِاسْمِ الرَّبِّ يَسُوعَ"(٣٨).

فهذا النص صريحٌ في أن برنابا هو الذي سعى لبولس عند تلاميذ المسيح عليه السلام، وبذل ما بوسعه لإقناعهم في قضية تحوُّله من البغضِ لدعوة المسيح وأنصاره إلى حبِّ ذلك كله، ولكنهم كانوا يتوجَّسون منه خوفًا، فما سلف منه في ماضي عمره من الحقد لدعوة المسيح لا يؤهِّله إلى هذا الادِّعاء المفاجئ.

ولكنه لم يَرَ في ذلك مطلبًا يحتاج منه إلى بذل ما بوسعه لنيله؛ لكونه غير مفتقرٍ إلى رضاهم أو موافقتهم، فهو لا يفتأ عن الاعتراف بأنه لم يلتقِ بالمسيح، وفي الوقت ذاته يرى نفسه خيرًا من تلاميذه في تصوُّره من خلال أقواله، ولهذا لم يأخذ عن تلاميذ المسيح، ولم يتلقَّ عقيدته النصرانية من مصدرها الأصلي، ومع تجرُّده من هذا وذاك رأى أنه المخوَّل بنشر دعوة المسيح عليه السلام؛ لتجربته ومعرفته، وهذا ما يشير إليه في رسالة غلاطية(٣٩) حيث يقول: "أُعَرِّفُكُمْ أَيُّهَا الإِخْوَةُ الإِنْجِيلَ

---

(٣٧) أحد الحواريين الاثني عشر، وأحد التلاميذ السبعين الذين لزموا عيسى وصاحبوه وآثروه على كل شيء، وكان اسمه يوسف، وقد لقَّبه الرسل ببرنابا لرقَّة طبعه، قُتل سنة: ثلاث وستين للميلاد، وقيل: قبل ذلك، انظر: الدرر النفيسة في مختصر تاريخ الكنيسة، مار إغناطيوس أفرام، مطبعة السلام، حمص، ١٩٤٠م، (٧٧/١)؛ عقائد أهل الكتاب – دراسة في نصوص العهدين-، أحمد مختار رمزي، دار الفتح للدراسات والنشر، الأردن، ط١، ٢٠٠٨م، (ص:٨١)؛ إنجيل برنابا هل هو إنجيل صحيح، القس عبد المسيح بسيط أبو الخير، (ص:٤٦).

(٣٨) أعمال الرسل(٢٦/٩-٢٨).

(٣٩) غلاطية: ولاية في وسط آسيا الصغرى، أي: تركيا حاليًا، وتشمل بلادًا كثيرة، وتمتد هذه الولاية ٢٠٠ ميلًا طولًا وحوالى ١٥٠ ميلًا عرضًا، وسُمِّيت غلاطية نسبةً إلى غالية, أي: فرنسا التي هاجر أهلها إلى هذا المكان واشتركوا في حروب كثيرة، وتميزوا بالعنف والقوة والتقلب واختلطوا في أيام بولس بأهل فريجية واليونان، وسكانها معظمهم أمميون ومعهم قليل من اليهود، انظر: قاموس الكتاب المقدس، نخبة من اللاهوتيين، مرجع سابق، (ص:٦٦٠)؛ تفسير رسالة بولس الرسول إلى غلاطية، كهنة و خدام كنيسة مارمرقس مصر الجديدة، مشروع الكنوز القبطية، (ص:٢٢٩).

ISSN: 2537-0405 eISSN: 2537-0413

الَّذِي بَشَّرْتُ بِهِ، أَنَّهُ لَيْسَ بِحَسَبِ إِنْسَانٍ؛ لأَنِّي لَمْ أَقْبَلْهُ مِنْ عِنْدِ إِنْسَانٍ وَلَا عُلِّمْتُهُ. بَلْ بِإِعْلَانِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ... أَنْ يُعْلِنَ ابْنَهُ فِيَّ لأُبَشِّرَ بِهِ بَيْنَ الأُمَمِ، لِلْوَقْتِ لَمْ أَسْتَشِرْ لَحْمًا وَدَمًا وَلَا صَعِدْتُ إِلَى أُورُشَلِيمَ(٤٠)، إِلَى الرُّسُلِ الَّذِينَ قَبْلِي، بَلِ انْطَلَقْتُ إِلَى الْعَرَبِيَّةِ، ثُمَّ رَجَعْتُ أيضًا إِلَى دِمَشْقَ(٤١).

ثُمَّ بَعْدَ ثَلَاثِ سِنِينَ صَعِدْتُ إِلَى أُورُشَلِيمَ لأَتَعَرَّفَ بِبُطْرُسَ، فَمَكَثْتُ عِنْدَهُ خَمْسَةَ عَشَرَ يَوْمًا. وَلكِنَّنِي لَمْ أَرَ غَيْرَهُ مِنَ الرُّسُلِ إِلَّا يَعْقُوبَ أَخَا الرَّبِّ(٤٢)"(٤٣).

ويؤكد هذا في قوله: "وَلكِنْ بِسَبَبِ الإِخْوَةِ الْكَذَبَةِ الْمُدْخَلِينَ خُفْيَةً، الَّذِينَ دَخَلُوا اخْتِلَاسًا لِيَتَجَسَّسُوا حُرِّيَّتَنَا الَّتِي لَنَا فِي الْمَسِيحِ كَيْ يَسْتَعْبِدُونَا، الَّذِينَ لَمْ نُذْعِنْ لَهُمْ بِالْخُضُوعِ وَلَا سَاعَةً، لِيَبْقَى عِنْدَكُمْ حَقُّ الإِنْجِيلِ. وَأَمَّا الْمُعْتَبَرُونَ أَنَّهُمْ شَيْءٌ - مَهْمَا كَانُوا، لَا فَرْقَ عِنْدِي، اللهُ لَا يَأْخُذُ بِوَجْهِ إِنْسَانٍ - فَإِنَّ هؤُلَاءِ الْمُعْتَبَرِينَ لَمْ يُشِيرُوا عَلَيَّ بِشَيْءٍ. بَلْ بِالْعَكْسِ، إِذْ رَأَوْا أَنِّي اؤْتُمِنْتُ عَلَى إِنْجِيلِ الْغُرْلَةِ كَمَا بُطْرُسُ(٤٤) عَلَى إِنْجِيلِ الخِتَانِ"(٤٥).

والتفتَ حــوله تلاميذ عدَّة ينظرون في دعوتـه، ولكنهــم نفروا منـه لمـَّا رأوا حقيقة دعوته مــن إساءة الأدب مع الله ﷻ كما يصرّح بذلك في مواطن كثيرة كقوله:

---

(٤٠) أورشليم هي القدس في قول بعضهم، فكانت تسمَّى بأور سالم، ولمَّا دخلها العبرانيون في القرن العاشر قبل الميلاد، فأبدلوا السين بالشين لاستثقال هذا الحرف عليهم، ثم تطور هذا اللفظ حتى صار أورشليم، ومنهم من نفى أن تكون القدس هي أورشليم التي ورد ذكرها في الكتاب المقدس، انظر: القدس في الكتب السماوية الثلاثة، جاسر علي العناني، المجلة الثقافية، الجامعة الأردنية، ٢٠٠٧م، العدد: ٦٨، (ص: ٢٠٧)؛ القدس ليست أورشليم: مساهمة في تصحيح تاريخ فلسطين، الربيعي.

(٤١) بكسر أوله، وفتح ثانيه، هكذا رواه الجمهور، والكسر لغة فيه، وشين معجمة، وآخره قاف: البلدة المشهورة قصبة الشام، سُمِّيت بذلك لأنهم دمشقوا في بنائها أي: أسرعوا، وناقة دمشق، بفتح الدال وسكون الميم: سريعة، وناقة دمشقة اللحم: خفيفة، وقيل: سُمِّيت بدماشق بن نمرود بن كنعان، وكان معه إبراهيم، ، انظر: معجم البلدان، ياقوت الحموي، مرجع سابق، (٢/ ٤٦٣-٤٦٤).

(٤٢) سيأتي تعريفه في الحديث عن الاضطهاد.

(٤٣) رسالة بولس الرسول إلى أهل غلاطية (١/١١-١٩).

(٤٤) اسم يوناني معناه: صخرة أو حجر، كان يسمَّى أولا سمعان، فلمَّا تبع يسوع سُمِّي: كيفا، وهي كلمة أرامية معناها صخرة، يقابلها في العربية صفا أي: صخرة، وقد سمَّاه المسيح بهذا الاسم. والصخرة باليونانية بيتروس, ومنها: بطرس، دعا يسوع بطرس ثلاث مرات فأولًا: دعاه ليكون تلميذًا، ودعاه ثانية: لكي يكون رفيقًا له ملازمًا إيَّاه باستمرار، ثم دعاه ثالثةً: لكي يكون رسولًا له، انظر: سحابة من الشهود - صياد الجليل بطرس الرسول-، القمص أشعياء ميخائيل، دار يوسف كمال للطباعة، الرسل الأطهار الاثني عشر – تلاميذ السيد الرب –، القمص أثناسيوس فهمي جورج، دير القديس أثناسيوس الرسولي، ط١، ٢٠٠٥م.

(٤٥) رسالة بولس الرسول إلى أهل غلاطية (٢/٤-٧).

ISSN: 2537-0405 eISSN: 2537-0413

١- "لأَنَّ جَهَالَةَ الله أَحْكَمُ مِنَ النَّاسِ! وَضَعْفَ اللهِ أَقْوَى مِنَ النَّاسِ"(٤٦).
٢- "لأَنَّ الرُّوحَ يَفْحَصُ كُلَّ شَيْءٍ حَتَّى أَعْمَاقَ اللهِ"(٤٧).
فهل الإساءة إلى الله ﷻ تصدر من الأنبياء؟!

ولم يكن محمود السيرة أو السريرة، ولكن انبرى لوقا من تلاميذه يذود عنه ويبذل ما بوسعه لردِّ أيِّ شيء يوجَّه إليه من اعتراض أو انتقاد؛ فحاز مكانة عظيمة في قلب بولس فلم يفتأ من تسمية لوقا بعد ذلك بـ:"الطبيب الحبيب "(٤٨)، فكتب لوقا "أعمال الرسل" التي لخَّص فيها حياة بولس كما فعل مَتَّى ومرقس مع المسيح، وكتب إنجيل لوقا الذي لخَّص فيه أفكار أستاذه، وهذا ما أكَّده غير واحد منهم(٤٩).

ومع هذا فإنَّ النصارى يتَّكؤون على شخصيتين في أصول دينهم كما يقولون: عيسى عليه الصلاة والسلام صاحب الديانة ومؤسِّسها، وبولس مفسِّر الديانة، وهذا الاتكاء يجعل المرء يقف مستغربًا لا ينقضي عجبه، إذ أقربُ الناسِ إلى عيسى عليه الصلاة والسلام مثل: بطرس، ويوحنا، ويعقوب لم ينقل النصارى عنهم شيئًا في تفسير رسالة عيسى عليه الصلاة والسلام(٥٠) مع أنهم يمتلكون أدوات التفسير، ويعرفون حقيقة دعوة نبيهم عليه الصلاة والسلام، فكيف أعرضوا عن ذلك، وتركوا الأمر برمَّته لشخصٍ آخر؟

إن هذا الغياب يدل على أنهم تصدَّوا للتفسير، ولكن طالته يدُ التغييب والإخفاء، أو أنَّ العقيدة النصرانية واضحة بيِّنة لا تفتقر إلى التفسير، فمن أين جاء كلُّ ذلك التناقضِ والتضادِّ إليها بحيث يَصعُب التوفيق بين النصوص في غالب المسائل؟

إذا تقرَّر ذلك فإنَّ التطور هو الباعث على ذلك التناقض -وهذا ما سيظهر في هذه الرسالة-.

المسألة الثانية: أهم التغييرات العقدية التي أحدثها في العقيدة النصرانية:

أحدث هذا الرجل تغييرات عديدة في ديانة عيسى عليه الصلاة والسلام أدَّت إلى طمس ديانة عيسى، بل قال بعض المؤلفين عن بولس: "أسَّس باسم يسوع دينًا لا يفقهه يسوعُ لو كان حيًّا"(٥١)، ومن أهم تلك التغييرات:

أولًا: القول بعالميَّة ديانة عيسى عليه الصلاة والسلام: الناظر إلى ديانة عيسى

---

(٤٦) رسالة بولس الرسول الأولى إلى أهل كورنثوس (٢٥/١).
(٤٧) رسالة بولس الرسول الأولى إلى أهل كورنثوس (١٠/٢).
(٤٨) رسالة بولس الرسول إلى أهل كولوسي (١٤/٤).
(٤٩) انظر: يسوع المسيح – شخصيته - تعاليمه، بولس إلياس يسوعي، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٩٦٣م، (ص:٢٦)
(٥٠) بولس وتحريف المسيحية، هيم ماكبي، ترجمة: سميرة الزين، منشورات المعهد الدولي للدراسات الإنسانية، (ص:١٣).
(٥١) حياة الحقائق، غوستاف لوبون، ترجمة: عادل زعتير، مؤسسة هنداوي، (ص:٥٢).

ISSN: 2537-0405 eISSN: 2537-0413

يجد أنها ليست عالميَّة، بل هو مرسَل إلى اليهود المنحرفين عن ديانة موسى لردِّهم إلى الصواب، وهدايتهم من الضلالة التي وقعوا فيها إلى الصراط المستقيم، ويشهد لهذا قولُ المسيح في إنجيل مَتَّى: "لَمْ أُرْسَلْ إِلاَّ إِلَى خِرَافِ بَيْتِ إِسْرَائِيلَ الضَّالَّةِ"(٥٢)، ويصرّح بأنه جاء مكمِّلًا ومتمِّمًا ومفسِّرًا لدين موسى عليه الصلاة والسلام، فيقول: "لَا تَظُنُّوا أَنِّي جِئْتُ لأَنْقُضَ النَّامُوسَ. مَا جِئْتُ لأَنْقُضَ بَلْ لأُكَمِّلَ"(٥٣). ويَنهى تلاميذَهُ عن تبليغ رسالته إلى غير مَن أُرسِل إليهم فيقول: "إِلَى طَرِيقِ أُمَمٍ لَا تَمْضُوا، وَإِلَى مَدِينَةٍ لِلسَّامِرِيِّينَ لَا تَدْخُلُوا. بَلِ اذْهَبُوا بِالْحَرِيِّ إِلَى خِرَافِ بَيْتِ إِسْرَائِيلَ الضَّالَّةِ وَمَتَى طَرَدُوكُمْ فِي هذِهِ الْمَدِينَةِ فَاهْرُبُوا إِلَى الأُخْرَى. فَإِنِّي الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: لَا تُكَمِّلُونَ مُدُنَ إِسْرَائِيلَ حَتَّى يَأْتِيَ ابْنُ الإِنْسَانِ"(٥٤).

دور المجامع في تحريف العقيدة النصرانية

المتأمل في العقيدة النصرانية يجد أن التغير والتطور ظَلَّا مصاحبين لها لا يفارقانها في أيِّ فترة من فتراتها الزمنية، ومن أهم التغيرات التي أثارت جدلًا بين أوساط النصارى ما كان يقال في المسيح وطبيعته ومهمَّته، فظهرت هذه المجامع نتيجة الاختلاف والتناقض بين المذاهب النصرانية في العقيدة، إذ طرأت أفكار في وسطها تنافي ما كانت عليه في أول أمرها، وظلَّ هناك أناسٌ يرفضون هذه الأفكار التي نشأت بمعزل عن الوحي، وكان للمجامع أثرٌ كبير في تقرير عقيدة وطمس أخرى، فكلما طرأ خلاف أو حدثت مشكلة أو احتدم الصراع في مسألة عقدية، فإن النصارى يسارعون إلى عقد مؤتمر لحلِّ هذا الأمر، فيقرُّون بدعة ما، ويؤيدون انحرافًا آخر، ويطمسون نصًّا ما في الكتاب المقدس، وهكذا لعبت هذه المجامع دورًا كبيرًا في تطور العقيدة النصرانية(٥٥).

فالمجامع لها كلمتها الأخيرة التي لا تُناقش بعد ذلك، والحكم النهائي الذي لا يقبل النقض والإبطال، فيرتفع الخلاف، ويُنسخ جميع أحكام الباباوات المتقدمة التي تنافي ما أقرَّه المجمع في قراره بعد ذلك، ويتمُّ ذلك بقوة السلطان وهيمنته لا بالحجة والبيان، ومن أجل هذا كانت تسمَّى بمجامع (اللعنة)، وذلك لأنهم يتفرَّقون وكلٌّ منهم يلعن الآخر، فيخرجون وكلُّ واحد منهم لاعنًا وملعونًا(٥٦)، وهذا ظاهرٌ بيِّن، إذ يتعذَّر أن يشترك الناس كلهم على الانحراف والباطل، ومن هنا ينشأ الاختلاف، وكذلك يستحيل اجتماع أهل الباطل على مسألة باطلة بعينها لأن سبل الباطل متفرقة

(٥٢) إنجيل متى (١٥/٢٤).
(٥٣) إنجيل متى(٥/١٧).
(٥٤) إنجيل متى(١٠/٥-٧).
(٥٥) النصرانية -نشأتها التاريخية وأصول عقائدها، عرفان عبد الحميد، دار عمار للنشر والتوزيع، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ه، (ص:٨١-٨٢).
(٥٦) مصادر النصرانية دراسةً ونقدًا، عبد الرزاق الأرو، دار التوحيد، الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٢٧ه-٢٠٠٧م، (ص:٧١٠-٧١١).

ISSN: 2537-0405 eISSN: 2537-0413

ومتفاوتة كما قال ﷻ: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾﴾ [الأنعام: ١٥٣]، كما أن سبيل الله واحد، وصراطه مستقيم، ودينه لا يعتريه الخلاف والتناقض، ومن هنا يستقيم حال المتَّبعين له ويظهر الائتلاف والاتفاق فيما بينهم كما قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾﴾ [النساء: ٨٢].

وقد تعدَّدت هذه المجامع وتنوَّعت حتى أصبح عدد المجامع التي أقامها النصارى تزيد على ثمانين مجمعًا(٥٧)، وكان من أخطرها وأشدِّها ضررًا: مجمع نيقية(٥٨) سنة: (٣٢٥م)، وقد اجتمع من الأساقفة والبطاركة ألفان وثمانية وأربعون أسقفًا(٥٩)، فكانوا مختلفي الآراء، مختلفي الأديان، منقسمين إلى جماعات عدَّة كالتالي:

- الجماعة الأولى: ترى هذه الجماعة أن المسيح ومريم إلهان من دون الله.
- الجماعة الثانية: ترى هذه الجماعة أن المسيح من الأب بمنزلة نارٍ أوقدت نارًا أخرى، فلم تُنقص من الأولى لإيقاد الثانية منها.
- الجماعة الثالثة: هذه الجماعة يدور رأيها في مدة حمل مريم بعيسى عليه السلام، فيرون أنها لم تحبل تسعة أشهر، وإنما مرَّ نورٌ في بطن مريم كما يمرُّ الماء في الميزاب(٦٠).

---

(٥٧) إغاثة اللهفان في مصايد الشيطان، ابن القيم، تحقيق: محمد عزير شمس، دار عطاءات العلم - دار ابن حزم، الرياض-بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤٤٠ هـ - ٢٠١٩ م، (٢/ ١٠٣٧).

(٥٨) نِيقِيَةُ: بكسر أوله، وسكون ثانيه، وكسر القاف، وياء خفيفة، قال بطليموس في كتاب الملحمة: مدينة أنيقية، ومدينة نيقية من أعمال اسطنبول على البر الشرقي، وكانت عاصمة الإمبراطورية الرومانية يومئذ، انظر: معجم البلدان، ياقوت الحموي، مرجع سابق، (٣٣٣/٥)؛ مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، صفي الدين البغدادي، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٤١٢ هـ، (١٤١٢/٣).

(٥٩) هناك اختلاف في عدد الحضور، انظر: مصادر النصرانية دراسةً ونقدًا، عبد الرزاق الأرو، مرجع سابق، (ص:٧٤٤-٧٤٥).

(٦٠) اختلف المفسرون في مدة حمل مريم، وقد جمع أقوال المفسرين ابنُ الجوزي فقال: "وفي مقدار حَمْلها سبعة أقوال: أحدها: أنها حين حملت وضعت، قاله ابن عباس، والمعنى: أنه ما طال حملها، وليس المراد أنها وضعته في الحال، لأن الله تعالى يقول: ﴿فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهِ﴾، وهذا يدل على أن بين الحمل والوضع وقتًا يحتمل الانتباذ به. والثاني: أنها حملته تسع ساعات، ووضعت من يومها، قاله الحسن. والثالث: تسعة أشهر قاله سعيد بن جبير، وابن السائب. والرابع: ثلاث ساعات، حملته في ساعة، وصُوِّر في ساعة، ووضعته في ساعة، قاله مقاتل بن سليمان، والخامس: ثمانية أشهر، فعاش، ولم يعش مولود قط لثمانية أشهر، فكان في هذا آية،

ISSN: 2537-0405 eISSN: 2537-0413

- الجماعة الرابعة: ترى هذه الجماعة أن المسيح إنسان خُلِقَ من اللاهوت كواحدٍ منَّا في جوهره، وإن ابتدأ الابن من مريم، وأنه اصطُفي ليكون مخلِّصًا للجوهر الإنسيّ صحبته النعمة الإلهية، فحلَّت منه بالمحبَّة والمشيئة فلذلك سُمِّي ابن الله.
- الجماعة الخامسة: يرون أن هناك ثلاثة آلهة لم يزل صالحًا وطالحًا وعدلًا بينهما.
- الجماعة السادسة: ترى هذه الجماعة أن ربنا هو المسيح(٦١).

وقد تعجَّب الملك آنذاك من الاختلاف الذي لا يمكن استيعابه ولا التوفيق بين الأقوال بأيّ حال من الأحوال، ولكنه رأى أن يقوم بما يجب عليه ظاهريًّا من إكرام وفادتهم وذلك من خلال الترحيب بهم، والحفاوة وغير تلكم المراسيم التي جرت عادة الملوك على فعلها عند نزول ضيف بهم، فظلُّوا أيامًا على حالهم، وجـــرت المناظرة بعد ذلك، وتوصَّـــل هذا المجمع إلى قرارات عدَّة، من أهمها:

أولًا: لعن آريوس(٦٢) الذي كان يرى بشرية عيسى عليه السلام، ونفي ألوهيَّته، وينكر مساواة الابن للأب، ويرى البنوَّة ليســت حقيقيــة بل مجازية، وإلا فإن عيســـى بشرٌ كسائر الناس، وإنما البنوَّة بالرعاية والعناية فقط، فلا يشبه الرَّبَّ سبحانه في جوهره وطبيعته(٦٣)، ولهذا توصَّل المجمع إلى لعنه ونفيه من تلك المدينة وحرق كتبه.

حكاه الزجاج، والسادس: في ستة أشهر، حكاه الماوردي. والسابع: في ساعة واحدة، حكاه الثعلبي"، زاد المسير في علم التفسير، الجوزي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ، (٣/ ١٢٥).

(٦١) هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى، ابن القيم، المحقق: محمد أحمد الحاج، دار القلم- دار الشامية، جدة – السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م، (٢/ ٥٥٥).

(٦٢) آريوس قس عاش في النصف الثاني من القرن الثالث وأوائل القرن الرابع الميلادي، ولد ونشأ بليبيا، ذهب إلى الإسكندرية فدرس بها، ثم انتقل إلى أنطاكية فدرس بها، وأخذ أفكاره عن لوقيانوس، ومنها: بشرية المسيح، انظر: تاريخ الكنيسة الشرقية، الأب ميشيل يتيم، المطبعة المارونية، حلب، ١٩٥٧م، (ص:٤٢)؛ كنيسة مدينة الله أنطاكية العظمى، أسد رستم، منشورات النور، بيروت-لبنان، (١٩٢/١).

(٦٣) انظر: تاريخ الكنيسة الشرقية، الأب ميشيل يتيم، مرجع سابق، (ص:٤٣)؛ مجموعة الشرع الكنسي أو قوانين الكنيسة المسيحية الجامعة التي وضعتها المجامع المسكونية والمكانية المقدسة، حنانيا إلياس كساب، منشورات النور، بيروت، لبنان، (ص:٤١)؛ قصة الحضارة، ول ديورانت، مرجع سابق، (٣٩٢/١١)، وقد وافقت المصادر الإسلامية ما ذكره النصارى عن آريوس، وفي هذا يقول ابن حزم: " والنصارى فِرَقٌ, منهم أصحاب أريوس، وكان قسيسًا بالإسكندرية، ومن قوله التوحيد المجرد، وأن عيسى عليه السلام عبدٌ مخلوق، وأنه كلمة الله تعالى التي بها خلق السموات والأرض، وكان في زمن قسطنطين الأول باني القسطنطينية، وأول من تنصَّر من ملوك الروم، وكان على مذهب أريوس هذا"، الفصل في الملل والأهواء والنحل، ابن حزم، مرجع سابق، (١/ ٤٧)، وهذا يعني أن آريوس كان لديه بعض الحق، ولا يعني هذا أن المسلمين يوافقونه في قوله بخلق عيسى للسماوات والأرض وغير ذلك مما يخالف فيه العقيدة الإسلامية.

ISSN: 2537-0405 eISSN: 2537-0413

ثانيًا: وضع قانون الإيمان النيقاوي الذي ينص على ألوهية المسيح، حيث جاء فيه: "إن ربنا يسوع المسيـــح هو ابن الله الأزلي حقًا، وهو مساوٍ لأبيه وصـــورته، وكائن فيـه دائمًا، وبالتالي هو إله حق"(٦٤)، والدليل على ألوهيَّته ﷺ عندهم: فداؤه للبشرية، فلو لم يكن هو الله بالحقيقة لما استطاع ذلك، ولو لم يكن إلهًا لما استطاع أن يعطينا حياة الثالوث(٦٥)!!!

ثالثًا: الاعتراف بأربعة أناجيل فقط: (مَتَّى، لوقا، مرقس، يوحنا)، وحرق بقية الأناجيل لخلافها ما توصَّل إليه المجمع في عيسى.

رابعًا: الحظر والمنع لكل من تُسوِّل له نفسه الخروج عن هذه العقيدة(٦٦)، مع أن الكثير منهم لم يقتنع بها، ولكنهم أعلنوا رضوخهم لها خوفًا من الإبعاد عن الوظائف الكنسية.

وكل هذه الأوامر جاءت مـــن قِبـــَل الامبراطور، واعتُمـــــد قوله، مع أنه لم يكن على عقيدة النصرانية آنئذٍ، ولا يعترف بها بحال، بل هو على وثنيَّته التي ورثها عن آبائه، ولم يدخل إلى النصرانية إلا في مرضه الذي مات فيه(٦٧).

ومن أجل هذا اقتنع بالقول الذي هو أقرب إلى قول الوثنية في مسألة تعدُّد الآلهة، وإطلاق الآلهة على المخلوقات كما جاء في أعمال الرسل: "وَكَانَ يَجْلِسُ فِي لِسْتْرَةَ رَجُلٌ عَاجِزُ الرِّجْلَيْنِ مُقْعَدٌ مِنْ بَطْنِ أُمِّهِ، وَلَمْ يَمْشِ قَطُّ. هذَا كَانَ يَسْمَعُ بُولُسَ يَتَكَلَّمُ، فَشَخَصَ إِلَيْهِ، وَإِذْ رَأَى أَنَّ لَهُ إِيمَانًا لِيُشْفَى. قَالَ بِصَوْتٍ عَظِيمٍ: قُمْ عَلَى رِجْلَيْكَ مُنْتَصِبًا!. فَوَثَبَ وَصَارَ يَمْشِي. فَالْجُمُوعُ لَمَّا رَأَوْا مَا فَعَلَ بُولُسُ، رَفَعُوا صَوْتَهُمْ بِلُغَةِ لِيكَأُونِيَّةَ قَائِلِينَ: إِنَّ الآلِهَةَ تَشَبَّهُوا بِالنَّاسِ وَنَزَلُوا إِلَيْنَا. فَكَانُوا يَدْعُونَ بَرْنَابَا «زَفْسَ» وَبُولُسَ «هَرْمَسَ» إِذْ كَانَ هُوَ الْمُتَقَدِّمَ فِي الْكَلاَمِ. فَأَتَى كَاهِنُ زَفْسَ، الَّذِي كَانَ قُدَّامَ الْمَدِينَةِ، بِثِيرَانٍ وَأَكَالِيلَ عِنْدَ الأَبْوَابِ مَعَ الْجُمُوعِ، وَكَانَ يُرِيدُ أَنْ يَذْبَحَ. فَلَمَّا سَمِعَ الرَّسُولاَنِ، بَرْنَابَا وَبُولُسُ، مَزَّقَا ثِيَابَهُمَا، وَانْدَفَعَا إِلَى الْجَمْعِ صَارِخَيْنِ وَقَائِلِينَ: أَيُّهَا الرِّجَالُ لِمَاذَا تَفْعَلُونَ هَذَا؟ نَحْنُ أَيْضًا بَشَرٌ تَحْتَ آلاَمٍ مِثْلُكُمْ نُبَشِّرُكُمْ أَنْ تَرْجِعُوا مِنْ هَذِهِ الأَبَاطِيلِ إِلَى الإِلَهِ الْحَيِّ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاءَ وَالأَرْضَ وَالْبَحْرَ وَكُلَّ مَا فِيهَا. الَّذِي فِي

---

(٦٤) الدرر النفيسة في مختصر تاريخ الكنيسة -أخبار الكنيسة المسيحية منذ نشأتها سنة ٣٠ حتى نهاية القرن الرابع-، مار إغناطيوس أفرام الأول برصوم، بطريرك أنطاكية وسائر المشرق على السريان، مطبعة السلامة، حمص، ١٩٤٠م، (٤٤٠/١).

(٦٥) حوار حول الثالوث -الحوارت السبع-، القديس البابا: كيرلس، بطريرك الإسكندرية الرابع والعشرون، ترجمة: جوزيف موريس فلتس، مراجعة: نصحي عبد الشهيد، مؤسسة القديس أنطونيوس-المركز الأرثوذكسي-، القاهرة، الطبعة: الأولى، ٢٠١٤م، (ص: ١٨).

(٦٦) هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى، ابن القيم، مرجع سابق، (٢/ ٥٥٥-٥٦١)؛ مصادر النصرانية دراسة ونقدا، عبد الرزاق الأرو، مرجع سابق، (ص:٧٥٠-٧٥١).

(٦٧) حياة قسطنطين العظيم، الفصل: الثاني والستون، يوسابيوس القيصري، تعريب: القمص: مرقس داود، مكتبة المحبة، القاهرة، (ص:١٥٣).

ISSN: 2537-0405 eISSN: 2537-0413

الأَجْيَالِ الْمَاضِيَةِ تَرَكَ جَمِيعَ الْأُمَمِ يَسْلُكُونَ فِي طُرُقِهِمْ. مَعَ أَنَّهُ لَمْ يَتْرُكْ نَفْسَهُ بِلَا شَاهِدٍ وَهُوَ يَفْعَلُ خَيْرًا يُعْطِينَا مِنَ السَّمَاءِ أَمْطَارًا وَأَزْمِنَةً مُثْمِرَةً وَيَمْلأُ قُلُوبَنَا طَعَامًا وَسُرُورًا. وَبِقَوْلِهِمَا هَذَا كَفَّا الْجُمُوعَ بِالْجَهْدِ عَنْ أَنْ يَذْبَحُوا لَهُمَا"(٦٨)، فبولس أنكر عليهم القول بتعـــدُّد الآلهة، وقصرها على ربِّ السماوات، ولم يكـــن للقول بتأليه عيســـى وقتئـــذٍ مـن يتبنَّاه أو يذكره.

ويلحظ المرء حال هذه الفرقة من خلال هذا المجمع، ومدى التناقض الذي وصلت إليه، والشِّيَع الكثيرة التي أضحت عليه، وكل شيعة تلعن أختها، وتسعى للكيد والمكر بها، والقبول بأيِّ عقيدة لقاء وظيفة معيَّنة، فلا حجة من الوحي تلجأ إليها، ولا برهان من العقل تركن وتتحاكم إلى معطياته، بل الخلاف الهائل والآراء المتباينة التي تُطرح على بساط البحث تنتهي بأمر من ذي سلطة على الجميع، فيخضعون لقوله حتى ولو لم يؤمنوا به، فالمجمع -بمبناه ومعناه- سلطة كهنوتية لها الحق في إقرار شيء أو منع شيء دون اللجوء إلى النظر في الأفكار المطروحة من المجتمعين، ويشهد لانصياع الجميع لقول الحاكم أيًّا كان رأيه ما ذكره جمعٌ من مفكريهم.

ثم تتابعت المجمعات بعد ذلك، وكلٌّ منها يقرِّر منها شيئًا جديدًا يهدم العقائد كما بَيَّنَّا سابقًا، ومنه المجمع المسكوني الثاني سنة: ٣٨١م الذي انعقد بعد قول مقدونيوس(٦٩) في نفي ألوهية الروح القدس، لعدم وجود دليل واضح وبيِّن يشهد للقول بتأليهه، ولكن النصارى يومئذٍ وقفـــوا له بالمرصاد، فأجمعـــوا علـــى القول بربوبيـــة الروح القدس المحيـــي، والمسجـــود له مع الآب والابن(٧٠).

ثم جاءت الفرقة النسطورية التي تبعت نسطوريوس(٧١) في أفكار له -سيأتي بيانها-، فانعقد مجمع أفسس(٧٢) سنة: ٤٣١م، وقرَّروا في هذا المجمع مسائل عدَّة،

---

(٦٨) سفر أعمال الرسل (١٤/٨-١٨).

(٦٩) بطريرك القسطنطينية، كان من الآريوسيين الذين تمكَّنوا بنفوذهم عند قسطنس أن يرسموه بطريركًا لكرسي القسطنطينية سنة ٣٤٣، يلقب بروح القدس لقوله فيه بأنه ليس إلهًا، انظر: سلسلة البدع و الهرطقات، المقدونية (بدعة مقدونيوس)، القس: أباكير عبد المسيح فرج، (ص:٦-٧).

(٧٠) حوار حول الثالوث -الحوارت السبع-، القديس البابا: كيرلس، بطريرك الإسكندرية الرابع والعشرون، مرجع سابق، (ص:١٧-١٨).

(٧١) أحد الأساقفة من سوريا، ولد بمرعش من أبوين سوريين، وقيل: فارسيين، درس اليونانية ومبادئ العلوم في مرعش، ثم انتقل منها إلى أنطاكية، وأصبح أسقفًا على القسطنطينية سنة ٤٢٨م، انظر: دور وعلاقات الكنيسة القبطية خلال العصر القبطي، ملاك إبراهيم يوسف، مراجعة وتقديم: شنودة ماهر إسحاق، الكنيسة القبطية، الطبعة: الثانية، ٢٠٠٠م، (ص:٢٨٦).

(٧٢) مدينة من مدن الرومان، وقد جاء عن ابن عباس ﷺ بأنها هي المدينة التي كان يتواجد بها أصحاب الكهف المذكورون في سورة الكهف، واسم ملكهم دقيانوس، واسم الكهف الرقيم، انظر: معجم البلدان، ياقوت الحموي، مرجع سابق، (٦١/٣).

ISSN: 2537-0405 eISSN: 2537-0413

من أهمها: جواز القول بأن مريم والدة الإله(٧٣).

وكان مما أثير في هذا المجمع قضية طبيعة المسيح، فبعد أن ثارت ثائرتهم على آريوس واعتبروا قوله من أعظم الهرطقات لكونها مسَّت طبيعة المسيح(٧٤)، فكذلك فعل نسطور، وقد كان صورة جديدة لآريوس في نظر الكنيسة(٧٥)، وسيأتي الحديث عنه، وعن قوله في طبيعة المسيح عليه الصلاة والسلام.

وقد خرج المجمع بقرارات -سيأتي الكلام عنها- ومدى قبولها ورفضها، ومن تلك القرارات: بيان الطبيعة اللاهوتية للمسيح، وأن اللاهوت والناسوت متحدان في أقنوم الكلمة، وهو ما تمسَّكت به الأرثوذكسية، ولكن أتباع نسطور ظلُّوا يدعون إلى فكره ومنهجه لكون نسطور رفض حضور ذلك المجمع، فكيف قامت عليه الحجة؟

فظهر له من المخالفين راهب يقال له: أوطاخي(٧٦)، وقد كان من أشدِّ الناس عداءً لنسطور وأتباعه، فلا يفتأ عن الحكم عليهم بالكفر إذا ذكرهم، وكان يدافع عن عقيدة الطبيعة الواحدة للمسيح بعد التجسُّد، ثم آل به الأمر إلى شرح هذه الطبيعة، وأن الناسوت تلاشى في اللاهوت كتلاشي نقطة الخلِّ في المحيط، فاللاهوت والناسوت قد امتزجتا معًا في طبيعة واحدة(٧٧).

فانعقد مجمع في القسطنطينية(٧٨)، فحضر أوطاخي لمناقشته في هذه البدعة

---

(٧٣) مجموعة الشرع الكنسي أو قوانين الكنيسة المسيحية الجامعة التي وضعتها المجامع المسكونية والمكانية المقدسة، حنانيا إلياس كساب، مرجع سابق، (ص:٢٨٨).

(٧٤) علم اللاهوت، القمص: ميخائيل مينا، مكتبة المحبة القبطية الأرثوذكسية، القاهرة، الطبعة: الرابعة، ١٩٤٨م، (٢٧٤/١)؛ الإيمان بالثالوث - الفكر اللاهوتي الكتابي للكنيسة الجامعة- توماس ف. تورانس، ترجمة: عماد موريس، جوزيف موريس، مكتبة باناريون، الطبعة: الأولى، ٢٠٠٧م، (ص:١٧٦).

(٧٥) قصة الكنيسة القبطية -الكتاب الأول-، مار جرجس، مكتبة كنيسة الشهيد، الإسكندرية، (ص:٣٩٣).

(٧٦) راهب، يقال له: أوطاخي أو يوطخيا، كان رئيسًا لدير في القسطنطينية يضم أكثر من ٣٠٠ راهب لمدة تزيد عن ثلاثين عامًا، كان شديدًا على خصومه، وهو الراهب المستشار للإمبراطور، ولد سنة ٣٧٨ م، وعُيِّن أسقفًا سنة ٤٠٨م، انظر: سلسلة البدع والهرطقات، الأوطاخية (بدعة أوطاخي)، القس: أباكير عبد المسيح فرج، (ص:٣).

(٧٧) موسوعة الأنباء غريغوريوس -اللاهوت المقارن-، المتنيح الأنبا غريغوريوس، مكتبة المتنيح الأنبا غريغوريوس، مصر، (٢٠٠/١).

(٧٨) يقال: قسطنطينة، بإسقاط ياء النسبة، قال ابن خرداذبه: كانت رومية دار ملك الروم وكان بها منهم تسعة عشر ملكًا ونزل بعمورية منهم ملكان، وعمورية دون الخليج وبينها وبين القسطنطينية ستون ميلًا، وملك بعدهما ملكان آخران برومية ثم ملك أيضا برومية قسطنطين الأكبر ثم انتقل إلى بزنطية وبنى عليها سورًا وسمَّاها قسطنطينية وهي دار ملكهم إلى اليوم واسمها اصطنبول وهي دار ملك الروم، بينها وبين بلاد المسلمين البحر المالح، عمَّرها ملك

ISSN: 2537-0405 eISSN: 2537-0413

التي قال بها، فأجاب بأن المسيح من طبيعتين قبل الاتحاد، وذو طبيعة واحدة بعد الاتحاد، فتوصَّل المجمع إلى تجريده من الأسقفية.

فلم يقبل أوطاخي، وكتب إلى البابا رسالة تضمَّنت شكواه، ومظلوميَّته، فما كان من البابا سوى الكتابة إلى المجتمعين الذين حكموا على أوطاخي بذلك، وطلب بيانًا شافيًا وكافيًا ووافيًا عمَّا جرى، فكتبوا إليه، فلم يقتنع بالنتائج التي توصَّلوا إليها.

فانعقد مجمع أفسس الثاني، سنة: ٤٤٩٩م، وسألوا أوطاخي عن مذهبـــــه، فأبدى تمسُّكـــه بما جاء في مجمع نيقية، فانتهى المجمع إلى تبرئة أوطاخي، وعزل مناوئيه وحارميه في السابق(٧٩).

وهذا يعني أن المجمع قد انتهى إلى القول بالطبيعة الواحدة بعد التجسُّد، ومن خالف ذلك لُعن وطُرد وكان على رأسهم بطريرك القسطنطينية، فلم تقبل الكنيسة الرومانية ولا اليونانية ما توصَّل إليه هذا المجمع من الغرائب، ومنها إنكار الطبيعة الناسوتية، فسمَّوه بمجمع اللصوص، وبدأ الاشتعال يزداد والخلاف يتفاقم، فدعوا إلى عقد مجمع آخر هو خلقدونية(٨٠) يهدف إلى هدم ما توصَّـــل إليه مجمـــع أفسس الثاني، فجرى بينهم مـــن السَّبِّ، والشتـــم، واللعـــن، والصراخ، وارتفاع الأصوات، ما جعـــــــل الجنود يتعجَّبون من الأخلاق التي صدرت من الأساقفة، فتحوَّل الجنود إلى موجِّهين وداعين إلى التحلِّي بالأخلاق العالية، وترك التصرفات اللأخلاقية جانبًا(٨١)، وتعرَّض بعض الرهبان للضرب ولحلق لحيته والسخرية منه كما فعل بطريرك الإسكندرية الذي كان يخالف ما انتهى إليه المجمع من كون المسيح له طبيعتان: إنسانية يشارك فيها الناس كفردٍ منهم، ولاهوتية يتميز بها عنهم، وأقنوم الابن مكون من الطبيعتين، وهو بذلك يخالف النساطرة، ويخالف ما انتهى إليه أفسس الثاني من كون المسيح له طبيعة واحدة تجسَّد فيها العنصر اللاهوتي من الروح القدس، ومن مريم العذراء مصيِّرًا هذا الجسد معه واحدًا وحدة ذاتية جوهرية منزَّهة عن الاختلاط والاستحالة، بريئة من الانفصال، وبهذا الاتحاد صار الابن المتجسِّد طبيعة واحدة من طبيعتين، ومشيئة واحدة، فبقيت الكنيسة الشرقية على ما توصَّلوا

من ملوك الروم يقال له قسطنطين فسُمِّيت باسمه، انظر: معجم البلدان، ياقوت الحموي، مرجع سابق، (٣٤٧/٤).

(٧٩) انظر: سلسلة البدع والهرطقات، الأوطاخية (بدعة أوطاخي)، أباكير عبد المسيح فرج، (ص:٨).

(٨٠) ترد في الكتابات العربية المصرية بالشكل: خلقيدونية، وخلقيدونيا، وهي الآن ضاحية من مدينة اسطنبول باسم: قاضي كوي، انظر: التاريخ الكنسي، سوزومين، ترجمة: تشستر هارترانفت، تعريب: د.بولا ساويرس، مشروع الكنوز القبطية، (ص:١٨١).

(٨١) محاضرات في النصرانية - تبحث في الأدوار التي مرَّت عليها عقائد النصاري وفي كتبهم ومجامعهم المقدسة وفرقهم، أبو زهرة، مرجع سابق، (ص: ١٣٨).

ISSN: 2537-0405 eISSN: 2537-0413

إليه في أفسس الثاني، وانفردت الكنيسة الغربية بما توصَّلوا إليه في نيقية(٨٢)، وكان هذا المجمع سببًا في انقسام المقسَّم أصالةً، لكنه أحدث فجوة عميقة في النصرانية.

أشهر الفرق المسيحية من القرن السادس إلى القرن الثامن الميلادي

أتى المسيح عليه الصلاة والسلام رسولًا من ربه إلى خراف بني إسرائيل الضالة، وكانت ديانته واضحة المعالم، لا يعتريها صعوبة في فهمها أو المراد منها، فرفعه الله وأصحابه على بيِّنة من الأمر، حتى جاء شاول اليهودي، فأدخل إلى النصرانية ما ليس منها، ومهَّد الطريق أمام أصحاب التدين المطَّاطي، المنادين بقبول أيِّ فكر منحلّ وشاذ، برحابة صدر، وطمس الخلاف حتى وإن كان يتقاطع مع ثوابت الدين، وهؤلاء لن يعدموا من يرفض فكرهم، وينأى عنهم، وعندئذٍ فإن الخلاف - والأمر على هذا الحال- لا مفرَّ منه، وهو حتميٌّ لوجود دوافعه، وتجلِّي أسبابه.

ولا غرابة حينئذٍ من وجود الفِرَق والشِّيَع والمذاهب في هذه الديانة، وقد تفرَّقوا أيدي سبأ في كل مرحلة زمنية مرت عليهم، وكلٌّ يتبنَّى عقائد لا تمتُّ للمسيح ودينه بأيِّ صلة، وكلٌّ يطوِّر عقيدته بين الفينة والأخرى كما هو الشأن في الأفكار البشرية التي يعتريها القصور من كل مكان، وتفتقر إلى التطوير والتعديل بين حين وآخر، مع أن النصارى حاولوا قمع الأفكار التي يظنونها مخالفة لما يَدِينون به من خلال عقد مؤتمرات ومجمعات علمية، إلا أن تلك المجمعات لم تكن لها النتائج التي يرغبون ويتمَّنون، ومن أجل هذا كانت المخالفة بعد المجامع معروفة ومشهورة، ولديها من يؤمن بها، ويدافع عنها، فكثر الاختلاف والتفرق، ولهذا لا تجدهم يتفقون على قولٍ واحد في معبودهم، حتى قال بعض الناس: لو اجتمع عشرة نصارى افترقوا على أحد عشر قولًا، وذكر بعض أهل العلم أن: أشدَّ الناس اختلافًا في مذاهبهم وأقلهم تحصيلًا لها لا يمكن أن يُعرف لهم مذهب، ولو سألت قسًّا من قساوستهم عن مذهبهم في المسيح، وسألت أباه، وأمه، لاختلفوا عليك الثلاثة، ولقال كل واحد منهم قولًا لا يشبه قول الآخر.

وهذا كله منوط بعدم وجود أصل يرجعون إليه عند الاختلاف، فالنصرانية عبارة عن مجموعة من الأفكار البشرية التي كانت خليطًا من الأوهام، والأفكار القديمة، والآراء الفلسفية، وكلٌّ يعود على الآخر بالنقض والإبطال، ومن هنا تعددت الأفكار والفِرَق والنِّحَل لتعدُّد المشرب شعروا بذلك أم لم يشعروا، وقد جاء القرن السادس والنصارى منقسمون إلى فرقٍ عدة، أشهرها:

الفرقة الأولى: الآريوسية:

سبق الحديث عن آريوس في أكثر من موطن، فقد كانت مقالته في نفي ألوهية

---

(٨٢) انظر: تاريخ الأمة القبطية، يعقوب نخلة روفيلة، مطبعة متروبول، الطبعة: الثانية، ٢٠٠م، (ص:٢٧)؛ محاضرات في النصرانية -تبحث في الأدوار التي مرَّت عليها عقائد النصاري وفي كتبهم ومجامعهم المقدسة وفرقهم-، أبو زهرة، مرجع سابق، (ص: ١٣٩).

ISSN: 2537-0405 eISSN: 2537-0413

المسيح والقول بأنه مخلوق أحد أسباب انعقاد مجمع نيقية، وحاول النصارى الذين حظوا بتأييد إمبراطور الرومان وقتئذٍ وأد أفكار آريوس بالتحذير منها ومن أصحابها، إلا أنها كانت أطول عمرًا مما توقَّعه النصارى، فقد التفَّ حول مقالته جمعٌ من الناس سواء أكان قبل انعقاد المجمع أم بعده(٨٣)، ولهذا يقول بعضهم: "ولكن للأسف الشديد كانت الحقيقة الواقعة تختلف الاختلاف كله عن القرارات المجمعية، فقد رجع الأساقفة بعد مجمع نيقية إلى أبرشيَّاتهم والقسوس إلى كنائسهم، وبدأ كلٌّ منهم يعلِّم ما كان يعلِّم به قبلًا، بل إن البعض تطرَّف في الهرطقة التي فاقت هرطقة آريوس نفسه، فمع أن آريوس وبعض أتباعه نُفوا، إلا أن الآريوسية بنت عشَّها في حدائق كثيرين من الأساقفة والرعاة"(٨٤)، فظلَّ هذا المذهب قائمًا له من يدين به إلى القرن السادس، ومن أشهر من كان ينتحله النجاشي(٨٥)(٨٦).

ومع بقاء هذا المذهب واستمراره إلى قرون عدة، إلا أن هناك من أرباب الكنائس مَن رفضه من أول وهلة، وأعلنوا العداء ضدَّه وضدَّ من يدين به، وذلك أن بدعته في تصوُّرهم هي أخبث بدعة حصلت في تاريخ النصرانية وأشدُّها جرمًا(٨٧)، وقد بيَّن آريوس ما يلقاه هو وأتباعه من الاضطهاد في رسالته إلى أسقف نيقوميدية، حيث شرح له عداء ألكسندروس(٨٨) فقال: "إن الأسقف يضطهدنا كثيرًا ويهيّج

---

(٨٣) الدرر النفيسة في مختصر تاريخ الكنيسة-أخبار الكنيسة المسيحية منذ نشأتها سنة ٣٠ حتى نهاية القرن الرابع-، مار أغناطيوس أفرام الأول برصوم، بطريرك أنطاكية وسائر المشرق على السريان، مرجع سابق، (٤٣٩/١)؛ كنيستي -عقيدة وإيمان-، القمص: مينا جاد جرجس، مكتبة المحبة، ٢٠٠٢م، (ص:٧٦)؛ محاضرات في النصرانية (تبحث في الأدوار التي مرَّت عليها عقائد النصاري وفي كتبهم ومجامعهم المقدسة وفرقهم)، أبو زهرة، مرجع سابق، (ص: ١٣١).

(٨٤) تاريخ الفكر المسيحي، حنا جرجس الخضري، دار الثقافة، القاهرة، (٦٤٣/١).

(٨٥) أصحمة بن أبجر، قال يونس، عن ابن إسحاق: كان اسم النجاشي مصحمة، وهو بالعربية عطية، وإنما النجاشي اسم الملك، كقولك كسرى وهرقل، قال الذهبي: وفي حديث جابر، أن النبي ﷺ صلى على أصحمة النجاشي، وأما قوله: "مصحمة" فلفظ غريب، وقد كتب النبي ﷺ إلى النجاشي يدعوه إلى الإسلام، وذلك مع عمرو بن أمية الضمري، وأن النجاشي كتب إليه: بسم الله الرحمن الرحيم، إلى محمد رسول الله ﷺ من النجاشي أصحمة بن أبجر، سلام عليك يا نبي الله ورحمة الله وبركاته، أشهد أنك رسول الله، وقد بايعتك وبايعت ابن عمك، وأسلمت على يديه لله رب العالمين، وقد بعثت إليك أريحا ابني، فإني لا أملك إلا نفسي، وإن شئت أن آتيك فعلت، يا رسول الله، انظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي، مرجع سابق، (١٧٨/١).

(٨٦) هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى، ابن القيم، مرجع سابق، (١/ ٣٨٣).

(٨٧) الدرر النفيسة في مختصر تاريخ الكنيسة -أخبار الكنيسة المسيحية منذ نشأتها سنة ٣٠ حتى نهاية القرن الرابع-، مار أغناطيوس أفرام الأول برصوم، بطريرك أنطاكية وسائر المشرق على السريان، مرجع سابق، (٤٣٩/١).

(٨٨) بطريرك الإسكندرية وبابا الكنيسة القبطية الأرثوذكسية ألكسندروس الأول، وُلد بالإسكندرية، وكان يُظهر التقوى فدعاه الناس بالقديس، ولقبُّوه بأبي المساكين لحبه للفقراء والمساكين، انظر: قاموس القديسين، القمص تادرس يعقوب ملطي، القس يوسف يوسف حليم، مشروع الكنوز

ISSN: 2537-0405 eISSN: 2537-0413

الجميع علينا حتى يطردنا من المدينة كأننا كافرون بالله؛ لأننا لا نتفق معه في إعلانه الجهاري بأن الله أزلي، والابن أزلي، وبأن الآب دائمًا آب، والابن دائمًا ابن، وأن الابن مِنَ اللهِ ذاته"(٨٩)، فآريوس يخالف ألكسندروس، فيقول: " لم يكن الابن أزليًّا، ولذلك فهو قابلٌ للتَّغيُّر، ولا فضل للابن ولا قيمة له على سائر المخلوقات إلا بما تفضَّل به الآبُ عليه. وليس الابن إلهًا بجوهره، ولكنه عالي القيمة، نظرًا لعلوّ مكانته بالنِّسبة للمخلوقات الأخرى"(٩٠)، ولكن هذا لم يلقَ أذنًا واعية من النصارى المخالفين له ممن حضر المجمع، وذهبوا إلى ما يراه ألكسندروس، ومن هنا حكموا على أيّ شخص يدين بأفكار آريوس بالقتل، وهذا ما تعرَّض له أحد الأساقفة عندما بُعث به ليكون أسقفًا عليهم فقتله أهلُها في وضح النهار، وقطَّعوا جثته، والمبرِّر لفعلهم هذا معه في كونه يدين بأفكار آريوس(٩١).

إن الناظر إلى ما حصل للآريوسية من قِبل أعدائهم يجد أن ألكسندروس لم يستطع أن يقيم حجته على آريوس بغير أمور واهية، فلم تكن هناك ثمة حُجج دينية أو عقلية تُلزم آريوس وتدفعه إلى التسليم لخصمه، بل غاية ظهور ألكسندروس على آريوس منوط بأمرين:

الأمر الأول: اقتناع الإمبراطور برأيه الذي كان على وثنيته التي ورثها عن آبائه، ولم يدخل إلى النصرانية إلا في مرضه الذي مات فيه(٩٢)، ومن أجل هذا اقتنع بالقول الذي هو أقرب إلى قول الوثنية في مسألة تعدُّد الآلهة، وحمل عليها جميع الحاضرين في المجمع.

الأمر الثاني: ادعاء ألكسندر بأنه رأى المسيح في المنام يلعن آريوس ويتبرَّأ من قوله(٩٣)، وهذان الأمران لا يعوَّل عليهما في المسائل العلمية.

وقد اعترف النصارى أنفسهم بأن قوله ظلٌّ ينتشر في أوساط الناس، وأتباعه لم يفتأوا عن دعوة الناس إليه وإقامة الحجج على بطلان ما ذهب إليه ألكسندروس ومن وافقه، فكانوا يقولون للمخالفين لهم: يا هرطقي: من الأكبر الوالد أم المولود؟! وهل

القبطية، (٢٨٥/١-٢٨٧).

(٨٩) تاريخ الكنيسة القبطية، الشماس منسي القمص، مطبعة اليقظة، مصر، الطبعة: الأولى، ١٩٢٤م، (ص:١٤٢-١٤٣).

(٩٠) كنيستي -عقيدة وإيمان-، القمص: مينا جاد جرجس، مرجع سابق، (ص:٧٦).

(٩١) طائفة الموحدين من المسيحيين عبر القرون، أحمد عبد الوهاب، مكتبة وهبة، الطبعة: الأولى، ١٤٠٠ه-١٩٨٠م، (ص:١١).

(٩٢) حياة قسطنطين العظيم، الفصل الثاني والستون، يوسابيوس القيصري، تعريب: القمص: مرقس داود، مرجع سابق، (ص:١٥٣).

(٩٣) محاضرات في النصرانية (تبحث في الأدوار التي مرَّت عليها عقائد النصاري وفي كتبهم ومجامعهم المقدسة وفرقهم)، أبو زهرة، مرجع سابق، (ص: ١٢٣).

ISSN: 2537-0405 eISSN: 2537-0413

يَصدُق العقل وجودُ ابنٍ قبل ولادته(٩٤)، وهذا ظاهرٌ بيِّن في أن القول بأزليَّته مع القول بولادته لا يمكن تصوُّرهما بأيِّ حال من الأحوال.

وهكذا ظلَّ الأتباع يقيمون الحجج والبراهين على صحة بشرية عيسى عليه الصلاة والسلام حتى تبدَّل الحال وأصبحت أوربا الغربية تدين بما قرَّره آريوس، وهكذا آتت دعوتهم أُكُلَها في بعض المناطق(٩٥)، بل إن الإمبراطور نفسه الذي وقف ضد آريوس في مجمع نيقية، وأيَّد المخالفين له رجع إلى مذهب آريوس في آخر عمره، وكذلك الحال مع وليِّ عهده الذي أصبح إمبراطورًا بعد أبيه كان آريوسيًّا، واستمرت في الانتشار حتى جاء القرن الخامس فكانت غالب أسقفية العالم المسيحية على مذهب آريوس، وظلَّ منتشرًا إلى زمن دعوة النبي محمد ﷺ(٩٦).

الفرقة الثانية: النسطورية:

تُنسب الفرقة النسطورية إلى نسطوريوس، وهي دعوة نصرانية ظهرت في القرن الخامس، وتبنَّت أفكارًا عديدة شكَّلت في تلك الفترة اضطرابًا واختلافًا في أوساط الأساقفة، ومن أهم ما ذكره يتمثل في أربعة أمور:

– الأمر الأول: القول بانفصال طبيعة اللاهوت عن الناسوت في عيسى عليه الصلاة والسلام، ومن ثم فإن اللاهوت لم يولد ولم يُصلب، ولم يقم مع الناسوت.

– الأمر الثاني: أن المسيح يحمل الطبيعتين: اللاهوتية والناسوتية مع الانفصال المتقرِّر عنده.

– الأمر الثالث: نفي ألوهية المسيح.

– الأمر الرابع: لا يجوز تسمية مريم عليها السلام بوالدة الإله.

وهذه الأفكار التي خالفها نسطور رأى بأن المخالفين له أخذوها من الفلاسفة، وليس هناك دليل يشهد لصحتها سوى التأثر بآراء الفلاسفة والوثنيين، ومنه اقتبست النصارى هذه الأفكار وغيرها(٩٧)، ولم تكن هذه الآراء لتظهر عقيب نيله درجة الأسقفية، بل ظلَّ يخفيها بين جوانحه زمنًا، وأظهر في بادئ أمره عداءً شديدًا للآريوسية(٩٨)، وظلَّ مهتمًّا بالوعظ والإرشاد ودعوة الناس للإيمان بعقيدة النصارى

(٩٤) تاريخ الكنيسة القبطية، الشماس منسي القمص، مرجع سابق، (ص:٢٧٢).

(٩٥) سوسنة سليمان في أصول العقائد والأديان، نوفل أفندي نوفل، المطبعة الأمريكية، بيروت، ١٩٢٢م، (ص: ١٣٧).

(٩٦) تطور الإنجيل المسيح ابن الله أم ملك من نسل داوود -دراسة نقدية وترجمة جديدة لأقدم الأناجيل تكشف مفاهيم مثيرة-، اينول باول، ترجمة: أحمد إيبش، دار قتيبة، (ص:٣٧).

(٩٧) رواية عزازيل، ترجمة: يوسف زيدان، دار الشروق، القاهرة، مصر، الطبعة: الثامنة والعشرون، ٢٠١٤م، (ص:٤٢).

(٩٨) موسوعة الأنبا غريغوريوس -اللاهوت المقارن-، المتنيح الأنبا غريغوريوس، مرجع سابق، (١٧٥/١)؛ سلسلة البدع والهرطقات، النسطورية (بدعة نسطور)، القس: أباكير عبد المسيح فرج، (ص:٧).

ISSN: 2537-0405 eISSN: 2537-0413

حتى تأثر بشيخه في نقد بعض ما يتعلق بالكتاب المقدس كقوله في سفر أيوب: إن هو إلا قصيدة مأخوذة من مصادر وثنية(٩٩)، ومن هنا بدأت فكرة النقد عنده لبعض المسلَّمات تأخذ بحظها من عقلهِ، فبدأت شرارة النزاع بوصف مريم بوالدة الإله، فلقي هذا الوصف قبولًا من البعض ومعارضةً من البعض الآخر الذين رأوا أن مريم عليها السلام والدة الإله بحق لكون عيسى عليه الصلاة والسلام إلهًا، ولا فرق عندهم بين أن يقال: مريم والدة الإله أو أم الرب، فكلا الإطلاقين عليها جائز وصحيح(١٠٠).

وكذلك بقية الأمور، فهي تخالف ما عليه النصرانية الذين لا يفتؤون عن الحديث عن لاهوتية المسيح، ولا يقبلون أيَّ تقرير يفضي بفصل اللاهوت عن الناسوت، بل إنهما متحدان اتحادًا لا يمكن تصوُّره أو إدراكه، فانعقد مجمع أفسس سنة:٤٣١م كما تقدَّم الحديث عنه، وتوصَّلوا فيه إلى أمور عدة:

الأمر الأول: إدانة نسطور ورفض هرطقته والضرب صفحًا عن تعاليمه.

الأمر الثاني: التمسك بقانون الإيمان الذي أقرَّه مجمع نيقية وما تلاه من المجامع.

الأمر الثالث: بيان عقيدة الكنيسة في مريم عليها السلام، وقد كتبوا ذلك على هذا النحو: " نُعظِّمك يا أم النور الحقيقي، ونمجِّدك أيتها العذراء والدة الإله، لأنك ولدت لنا مخلِّص العالم. أتى وخلَّص أنفسنا. المجد لك يا سيِّدنا وملكنا المسيح. فخر الرسل. إكليل الشهداء. تهليل الصِدِّيقين، ثبات الكنائس، غفران الخطايا. نُكرِّز ونُبشِّر بالثالوث المقدس لاهوت واحد. نسجد له ونمجِّده يا رب ارحمْ. يا رب باركْ. آمين"(١٠١).

وبيَّنوا نقاط الضعف عنده في أمور:

- الأولى: أنه فشل في شرح كيفية الاتحاد بين اللاهوت والناسوت في شخص المسيح.
- الثانية: أساء نسطور إلى حقيقة التجسُّد.
- الثالثة: أساء نسطور إلى الفداء والكفَّارة.
- الرابعة: أنكر لاهوت المسيح.
- الخامسة: جعلنا نعبد الإنسان(١٠٢).

وأُعطي نسطـــــور بعد تجريده من الأسقفيـــة عشرة أيام لإعلان التوبة

---

(٩٩) قصة الحضارة، ول ديورَانت، مرجع سابق، (١٢/ ١٠٠).

(١٠٠) موسوعة الأنبا غريغوريوس -اللاهوت المقارن-، المتنيح الأنبا غريغوريوس،مرجع سابق، (١٧٤/١).

(١٠١) الكنيسة تواجه الهراطقة، أمير نصر، (ص:١٨١).

(١٠٢) سلسلة البدع والهرطقات، النسطورية (بدعة نسطور)، القس: أباكير عبد المسيح فرج، (ص:٢٤).

ISSN: 2537-0405 eISSN: 2537-0413

عن أفكاره التي خلقت إشكالًا وسط العامة، فإن لم يرجع عنها فلا يكون له حظٌّ أو نصيب أو مكان في شركة الكهنوت(١٠٣).

لكن هذا التهديد لم يُجْدِ نفعًا مع نسطور الذي أصرَّ على أفكاره، وأن القول باتحاد اللاهوت والناسوت يحتاج إلى طول تأمل ونظر، وأن رأيه في وجود شخصين أقوم قيلًا وأهدى سبيلًا من قول النصارى، وأن هذين الشخصين هما: " يسوع الرجل الكامل بدون خطيئة، وهو ابن مريم بالجسد، والثاني الكلمة الإلهي المستقر فيه، وعلى ذلك ظهرت نظرية الطبيعتين المنفصلتين في طبيعة يسوع المسيح بدل أن كانت طبيعته واحدة"(١٠٤)، وعندئذ يرى أن العلاقة بين اللاهوت والناسوت علاقة اتصال وليست علاقة اتحاد.

كذلك رأى أن القول بأن مريم والدة للإله لا يمكن قبوله بأيّ حال من الأحوال، إذ كيف يستقيم القول بأن إنسانًا يلد إلهًا، مع إجماعهم بأن مريم عليها السلام إنسانة، فكيف ولدت إلهًا؟، فهذا التناقض ممتنع عند نسطور(١٠٥)، فالمخلوق لا يلد إلا مخلوقًا، والخالق عندهم عبارة عن روح، فكيف حصلت تلكم الولادة(١٠٦)، ومن هنا ذكر أن هذه الفكرة وثنية لم يدل عليها دليلٌ قَطُّ(١٠٧).

يقول نسطور: " إن مريم العذراء ليست بوالدةٍ إلهًا على الحقيقة، ولذلك كان اثنان.

أحدهما: الذي هو إله مولود من الأب.

والآخر: الذي هو إنسان مولود من مريم، وأن هذا الإنسان الذي يقول: إنه مسيح بالمحبة متوحِّد مع ابن إله، ويقال له: إله وابن إله، ليس بالحقيقة، ولكن موهبة، واتفاق الاسمين والكرامة شبيهًا بأحد الأنبياء".

من أجل هذا لقيت أفكاره مع عظيم تناقضها قبولًا أكثر من قبول فكرة غيره، ولهذا ظلَّت بين الناس، ولقيـــت من يعتقـــد صحتها، ويؤمن بها، وانشقَّت كنيسته عن باقي الكنائس، وكانت كنيسته أكثر الكنائس انتشارًا في كثير من البلدان(١٠٨)، واعترف المخالفون له بذلك، فقال بعضهم: "كانت بدعة نسطور سببًا في بلبلة أفكار

---

(١٠٣) مجموعة الشرع الكنسي أو قوانين الكنيسة المسيحية الجامعة التي وضعتها المجامع المسكونية والمكانية المقدسة، حنانيا إلياس كساب، مرجع سابق، (ص:٢٨٨-٢٨٩).

(١٠٤) تاريخ المسيحية الشرقية، عزيز سوريال عطية، ترجمة: إسحاق عبيد، المجلس الأعلى للثقافة، الطبعة: الأولى، ٢٠٠٥م، (ص:٣٠٤).

(١٠٥) سلسلة البدع والهرطقات، النسطورية (بدعة نسطور)، القس: أباكير عبد المسيح فرج، (ص:٧).

(١٠٦) الكنيسة تواجه الهراطقة، أمير نصر، مرجع سابق، (ص:١٢٩).

(١٠٧) موسوعة الأنبا غريغوريوس-اللاهوت المقارن-، المتنيح الأنبا غريغوريوس، مرجع سابق، (١٨١/١).

(١٠٨) تاريخ المسيحية الشرقية، عزيز سوريال عطية، مرجع سابق، (ص:٢٩٣).

ISSN: 2537-0405 eISSN: 2537-0413

الكثيرين، وبرغم هذا الحكم الرادع الذي قرَّره مجمع أفسس المسكوني بخصوص هذا التعليم الغريب، إلا أن الكنيسة بقيت سنينًا طويلة تقاسى آلامًا ممن شايعوا نسطورًا واعتنقوا مذهبه الفاسد"(١٠٩).

"وهؤلاء النصارى يقولون: إن كون الله مولودًا من فرج مريم، غير كونه مولودًا في الأزل من الأب، بل هما ولادتان روحانية وجسمانية.

وهم إذا طُولبوا بتفهيم ما يقولونه، وقيل لهم: هذا لا يُتصوَّر؛ أن يكون رب العالمين يخرج من ثقب ضيق، لا فرج ولا فم ولا أذن ولا غير ذلك من الأثقاب. قالوا: هذا فوق العقل، واعترفوا بأن هذا لا يتصوَّره العقل.

فيقال لهم: هذا الكلام لم يقله نبيٌّ من الأنبياء، ولم ينطق به نبيٌّ من الأنبياء بأن مريم حملت برب العالمين وولدته، بل ولا نطق نبيٌّ من الأنبياء بأن الله مولود ولا شيء من صفاته مولود، لا علمه ولا حياته ولا غير ذلك.

ولا نطق نبيٌّ من الأنبياء لا المسيح ولا غيره بأن الله اتحد بشيء من المخلوقات.

وليس في الإنجيل وغيره مما يُنقل عن الأنبياء شيء من ذلك".

وقابل أتباعه ما قيل عنه في مجمع أفسس من الأمور الثلاثة بثلاثة مثلها:

الأمر الأول: أن الموقف اللاهوتي الذي طُرح وقُرّر في مجمع أفسس موقف هرطوقي لا يُلتفت إليه ولا يعوَّل عليه، بل يُضرب عنه صفحًا، ويُطوى عنه كشحًا.

الأمر الثاني: أن نسطورًا كان على الصواب والحق، وحينئذٍ لم يكن هناك أيُّ داعٍ ولا يوجد أيُّ مبرّر لما فعلته الكنيسة معه من الحرمان وغيره من الأمور التي عُوقب بها.

الأمر الثالث: أن مجمع أفسس هو مجمع هرطوقي(١١٠).

ولا شك أن القول بأنها والدته لم يقف عند ذلك الحد، بل ذهب النصارى إلى تأليهها، فجاء في خِدْمَةُ قانون البَراكْلِسي الصَّغْير لِوالِدَةِ الإلَــه قولهم: " أَيَا عذراءُ، إليكِ يعلو الدُّعَاءُ ما لدينا سواكِ رجاءُ، نرفعُ إليكِ نشائدَ المديح. أيَّتها الفائقُ قُدسها والدةُ الإلهِ خلِّصينا. أَيَا عذراءُ، منكِ يَفيضُ الشِّفاءُ للَّذينَ رجوكِ وجاؤوا، يُعْلُونَ الميلادَ العجيبَ بالتَّسبيح. أنتِ تَشفينَ أمراضَ النَّفسِ الحزينةْ، وأوجاعَ الأجسادِ المِسكينةْ، فلكِ تمجيدُنا يا أُمَّ المسيحِ"(١١١).

الفرقة الثالثة: الملكانية:

سبق الحديث عن مجمع خلقدونية وما أحدثه من انشقاق عند النصارى، وإن

---

(١٠٩) عصر المجامع، كيرلُّس الأنطوني، (ص:٢٥٨).

(١١٠) سلسلة البدع والهرطقات، النسطورية (بدعة نسطور)، القس: أباكير عبد المسيح فرج، (ص:١٣).

(١١١) خدمة قانون البراكلسي الصغير لوالدة الإله (ص:١٧).

ISSN: 2537-0405 eISSN: 2537-0413

كان الانشقاق بينهم حاصلًا قبل ذلك، إلا أن الاختلاف حول طبيعة المسيح في خلقدونية أحدث انقسامًا شديدًا، يقول: "إذا كانت الكنيسة واحدة وأساسها الإيماني هو ألوهية السيد المسيح فمتى وكيف حدث الانشقاق في هذه الكنيسة الواحدة؟

الانشقاق الأول: حدث سنة ٤٥١م بسبب الخلاف حول طبيعة السيد المسيح وكان ذلك في مجمع خلقدونية، وانشقت الكنيسة إلى:

كنيسة غير خلقدونية: وهي التي لا تعترف بقرارات مجمع خلقدونية، وهي أيضًا التي تؤمن بطبيعة واحدة للسيد المسيح بعد الاتحاد...

كنائس خلقدونية: وهي التي تعترف بقرارات مجمع خلقدونية، وهي أيضًا التي تنادي بطبيعتين منفصلتين في السيد المسيح..."(١١٢).

فالملكانية هم الذين أقرُّوا بنتائج مجمع خلقدونية، فلمزوهم مخالفوهم بأنهم لم يتبعوا النتائج لصحتها، بل لأن الإمبراطور أمرهم بذلك، فلمَّا اتبعوا الملك أصبحوا ملكانية، بخلاف الذين رأوا الحق في زعمهم فلم يَرُعْهم تهديدُ ملكٍ(١١٣).

ومن أجل هذه الألقاب والتنابز بها كثر الخلاف والتنازع، فكان هذان: " القرنان عهد نضال متصل بين المصريين والرومانيين، نضال يذكيه اختلاف في الجنس واختلاف في الدين، وكان اختلاف الدين أشدَّ من اختلاف الجنس، إذ كانت علة العلل في ذلك الوقت تلك العداوة بين الملكانية والمنوفيسية، وكانت الطائفة الأولى - كما يدل على اسمها- حزب مذهب الدولة الإمبراطورية وحزب الملك والبلاد، وكانت تعتقد العقيدة السنية الموروثة، وهي ازدواج طبيعة المسيح، على حين أن الطائفة الأخرى وهي حزب القبط المنوفيسيين -أهل مصر- كانت تستبشع تلك العقيدة وتستفظعها، وتحاربها حربًا عنيفة في حماسة هوجاء يصعب علينا أن نتصوَّرها أو نعرف كنهها في قوم يعقلون، بل يؤمنون بالإنجيل"(١١٤).

وهكذا ظلَّ النصارى يتفرَّقون ويسلكون طرائق قددًا في عقيدتهم، ولن يقف ما بقيت هذه العقيدة، وفي هذا يقول أحد النصارى بعد حديثه عن عقيدة آريوس-: "إن آريوس لم يكن الأول، ولن يكون الأخير الذي يهاجم عقيدة لاهوت الابن، فحتى بعد موته سيقوم آريوس كثيرون ينهجون منهجه، ويسلكون في نفس الطريق الذي سلك فيه، وينادون بتعاليمه، بل ينادون بتعاليم أخرى أكثر ضلالًا، ويهاجمون التعاليم الصحيحة، وهكذا لا نقول: إن الكنيسة تنقسم من جديد، بل نقول: إنها تستمر في

(١١٢) كنيستي الأرثوذكسية ما أجملك، الشماس الإكليريكي، سامي حلمي، مطبعة دار نوبار للطباعة، الطبعة: الأولى، ٢٠٠٢م، (ص:/١٩).

(١١٣) الفرق والمذاهب المسيحية منذ ظهور الإسلام حتى اليوم-دراسة تاريخية دينية سياسية اجتماعية-، سعد رستم، الأوائل للنشر والتوزيع، سوريا، الطبعة: الثانية، ٢٠٠٥م، (ص:٢٩).

(١١٤) فتح العرب لمصر، ألفرد. ج. بتلر، ترجمة: محمد فريد، مكتبة مدبولي، القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٩٩٦م، (ص:٧١).

ISSN: 2537-0405 eISSN: 2537-0413

انقسامها إلى أحزاب وجماعات، وينهش بعضها بعضًا"(١١٥).

تطور النصرانية من القرن السادس إلى القرن الثامن الميلادي من حيث الشرائع

إن الناظر إلى التشريع عند النصارى يجد أن التوراة وأسفار الأنبياء عندهم كتبٌ مقدَّسة يجب الوقوف عليها وعدم تجاوزها إلى غيرها بأيِّ حال من الأحوال، ويطلقون عليها "العهد القديم"، وكانوا في أوائل دعوتهم يسيرون على ضوء ما دعت إليه ونصَّت عليه، بدءًا بعيسى عليه الصلاة والسلام القائل: "لَا تَظُنُّوا أَنِّي جِئْتُ لأَنْقُضَ النَّامُوسَ أَوِ الأَنْبِيَاءَ. مَا جِئْتُ لأَنْقُضَ بَلْ لأُكَمِّلَ. فَإِنِّي الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِلَى أَنْ تَزُولَ السَّمَاءُ وَالأَرْضُ لَا يَزُولُ حَرْفٌ وَاحِدٌ أَوْ نُقْطَةٌ وَاحِدَةٌ مِنَ النَّامُوسِ حَتَّى يَكُونَ الْكُلُّ"(١١٦)، ومن ثم لم يأتِ عيسى بتشريعات تميّز دعوته عن الشرائع السابقة، بل اقتصر على الوعظ والتسامح وقضايا الأخلاق وغيرها من الأمور، واكتفى باتِّباع شريعة موسى، ويُرجع النصارى هذا الأمر لعدة أسباب:

الأول: أنه أراد تشريعًا روحيًّا محييًا لا حرفًا ميتًا.

الثاني: أنه أراد بفعله ذلك تجنيب شريعته التي قد يأتي بها ما قد يعتري المتبعين لها من تغيرات في الزمان والمكان والأحوال التي تؤثر على صلاحيتها ومدى قبول الناس لها.

الثالث: أنه نأى بنفسه عن إكراه الناس على شريعة قد يقبلون بها وقد يرفضونها فتركَ الناسَ يختارون لنفسهم ما يحبُّون ويشتهون(١١٧).

وهذه التعليلات غير معقولة ولا مقبولة، فالتشريع السماوي لا يكون حرفًا مميتًا، بل هو بريء من ذلك، وعيسى عليه الصلاة والسلام لم يتجرد عن الشرائع، بل إقراره لشريعة موسى عليه الصلاة والسلام موجب لأتباعه الامتثال لما أقرَّه من فعل الأوامر واجتناب النواهي.

والقول بأن الشريعة تقيّد الإنسان وتحول بينه وبين حريته غير صحيح، ولو صحَّ ذلك لما أقرَّ عيسى شريعة موسى عليهما الصلاة والسلام، ولما أتى بشيء مطلقًا، فالقول في البعض كالقول في الكل، سواءً بسواء ومثلًا بمثل، ويشهد لاتِّباعه لمن قبله ما جاء في مَتَّى، فعندما سأله شخص فقال له: "يَا مُعَلِّمُ، أَيَّةُ وَصِيَّةٍ هِيَ الْعُظْمَى فِي النَّامُوسِ؟ فَقَالَ لَهُ يَسُوعُ: تُحِبُّ الرَّبَّ إِلهَكَ مِنْ كُلِّ قَلْبِكَ، وَمِنْ كُلِّ نَفْسِكَ، وَمِنْ كُلِّ فِكْرِكَ. هذِهِ هِيَ الْوَصِيَّةُ الأُولَى وَالْعُظْمَى. وَالثَّانِيَةُ مِثْلُهَا: تُحِبُّ قَرِيبَكَ كَنَفْسِكَ. بِهَاتَيْنِ الْوَصِيَّتَيْنِ يَتَعَلَّقُ النَّامُوسُ كُلُّهُ وَالأَنْبِيَاءُ"(١١٨).

فصرَّحوا بمخالفتهم لها متى ما وقفت حائلًا بينهم وبين ما يشتهون، وذلك

---

(١١٥) تاريخ الفكر المسيحي، حنا جرجس الخضري، مرجع سابق، (٦٤٠/١).

(١١٦) إنجيل متى (٥/ ١٧).

(١١٧) يسوع المسيح -شخصيته، تعاليمه-، الأب: بولس إلياس اليسوعي، مرجع سابق، (ص:٢٩٠).

(١١٨) إنجيل متى (٣٦/٢٢-٤٠).

ISSN: 2537-0405 eISSN: 2537-0413

بالتبديل أو التأويل الذي لا يُتصوَّر، فـ"الميتة في التوراة فإنما عَنى بذلك: ألَّا تُميتوا الأحياء... وأما الدم فعنى به: ألَّا يقتل أحدٌ بريئًا ويهريق دمه، وعَنَى بالخنزير: الزنا والكفر بالله، إذ المعروف من الخنزير الالتطاخ في المطائق، فنهانا عن فعله، وأما أكله فما فيه منفعة ولا مضرَّة فمن شاء أكله ومن شاء تركه..."(١١٩)، ومثل هذه التأويلات التي لا يمكن قبولها في تفسير النصوص.

إذا تبيَّن ذلك، فقد طرأ على الأحكام المتعلقة بالشرع عندهم تطورات عدة، ومن ذلك:

المسألة الأولى: النذر:

النَّذْر معروف في الشرائع المتقدمة، وقد جاء ذكره في قوله تعالى: ﴿وَلْيُوفُوا۟ نُذُورَهُمْ﴾ [الحج: ٢٩].

قال ابن عاشور: "وفي هذه الآية دليل على أن النذر كان مشروعًا في شريعة إبراهيم، وقد نذر عمرُ في الجاهلية اعتكاف ليلة بالمسجد الحرام، ووفَّى به بعد إسلامه كما في الحديث"(١٢٠)، وحكى الله ﷻ عن مريم قولها: ﴿إِنِّى نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا﴾ [مريم: ٢٦]، "فكان من بني إسرائيل من إذا اجتهد صام من الكلام كما يصوم من الطعام، إلا مِن ذكر الله"(١٢١)، وحكى الله تعالى قول امرأة عمران: ﴿إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٥﴾﴾ [آل عمران: ٣٥]، وكان معروفًا عند العرب كما يقول الشاعر في الجاهلية:

الشَّـــاتِمَيْ عِرْضِـــي، ولـــم أَشْـــتِمْهُمَا والنَّـــاذِرَيْنِ إذا لـــم أَلْقَهُمـــا دَمِـــي(١٢٢)

والنَّذْر عند النصارى ينقسم إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: نذر الفقر، فعلى الراهب رفضُ الأملاك الخارجية، أو السعي

---

(١١٩) الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام وإظهار محاسن الإسلام، القرطبي، المحقق: د. أحمد حجازي السقا، دار التراث العربي – القاهرة، (ص: ٣٩٧).

(١٢٠) تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، ابن عاشور، الدار التونسية للنشر – تونس، ١٩٨٤ هـ، (١٧/ ٢٥٠).

والحديث: عن ابن عمر رضي الله عنهما: «أن عمر سأل النبي ﷺ قال: كنت نذرت في الجاهلية أن أعتكف ليلة في المسجد الحرام؟ قال: فأوفِ بنذرك»، أخرجه البخاري في الصحيح، كتاب: الاعتكاف، باب: الاعتكاف ليلا، مرجع سابق، (٣/ ٤٨)، برقم(٢٠٣٢).

(١٢١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ابن جرير، مرجع سابق، (١٥/ ٥١٧).

(١٢٢) شرح المعلقات التسع، أبو عمرو الشيباني، تحقيق وشرح: عبد المجيد همو، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م، (ص: ٢٥٩).

ISSN: 2537-0405 eISSN: 2537-0413

لتأمين سكن للعيش فيه، وغير ذلك من الأمور التي تُنافي الفقر والتقشف، وتدل على ضدِّ ذلك كله(١٢٣).

القسم الثاني: نذر الطاعة، فيطيع الراهبُ الآبَ، ويلتزم توجيهاته، ويقتصر على امتثال أوامره، فلا يخالفها بحال(١٢٤).

القسم الثالث: نذر العِفَّة، فيمتنع عن الزواج؛ لأن الانشغال بالزوجة يصرف قلب المرء عن طاعة الله على الوجه الأكمل والأفضل، ومن ثم لا بد أن يترك ويمتنع عمَّا يصرفه عن ذلك(١٢٥)، ويستشهدون بما جاء في رؤيا يوحنا ما نصُّه: "ونَظَرتُ فرَأيتُ حَمَلًا على جَبَلِ صِهيونَ ومعَهُ مِئةٌ وأربَعةٌ وأربعونَ ألفًا ظَهَرَ اَسمُهُ واَسمُ أبيهِ مَكتوبًا على جِباهِهِم... هَؤُلاءِ هُمُ الذينَ ما تَدَنَّسوا بِالنِّساءِ، فهُمْ أبكارٌ"(١٢٦).

وهذا التقسيم ينبغي للإسكيم أن يفعله عند إلباس الراهب، وذلك بأن يسأله الكاهن أسئلة عديدة فيقول له: "أتلبث ثابتًا في الدير وفي النُّسك حتَّى نسمتك الأخيرة؟

أتُخلِّص المخلصين الذين جدَّدوا لقاءاتهم المعادة؟

أتحتمل بصبر جميع أحزان السيرة الرهبانية وضيقاتها لأجل ملكوت السماوات؟

أتحفظ ذاتك في البتولية والعفة والورع؟

فيجيب الراهب: "نعم، بمؤازرة الرب أيها الأب المكرَّم"(١٢٧).

وهذه النذور عند النصارى يتصل بها عندهم مسائل فقهية كثيرة، ويندرج تحتها العديد من الفروع، إلا أننا سنقتصر على ذكر ما حصل من تغيرات وتطورات في القرن السادس إلى الثامن الميلادي.

والأصل عندهم فيها ما قاله المسيح للشاب الذي سأله الحياة الأبدية فقال له: "إِنْ أَرَدْتَ أَنْ تَدْخُلَ الْحَيَاةَ فَاحْفَظِ الْوَصَايَا. قَالَ لَهُ: أَيَّةَ الْوَصَايَا؟

فَقَالَ يَسُوعُ: لَا تَقْتُلْ. لَا تَزْنِ. لَا تَسْرِقْ. لَا تَشْهَدْ بِالزُّورِ. قَالَ لَهُ الشَّابُّ: هذِهِ كُلَّهَا حَفِظْتُهَا مُنْذُ حَدَاثَتِي. فَمَاذَا يُعْوِزُنِي بَعْدُ؟

قَالَ لَهُ يَسُوعُ: إِنْ أَرَدْتَ أَنْ تَكُونَ كَامِلًا فَاذْهَبْ وَبِعْ أَمْلَاكَكَ وَأَعْطِ الْفُقَرَاءَ، فَيَكُونَ لَكَ كَنْزٌ فِي السَّمَاءِ، وَتَعَالَ اتْبَعْنِي"(١٢٨).

---

(١٢٣) إميل عقيقي، الحياة الرهبانية -تاريخها، طرقها، قيمها-، الأب: يوسف قزي- دير سيدة النصر، منشورات اليوبيل المئوي الثالث للرهبانية اللبنانية المارونية، ١٩٩٥م، (ص:١٩-٢٠).

(١٢٤) قوانين الرهبانية اللبنانية المارونية، ١٩٧٤م، القانون (٤٨).

(١٢٥) الحياة الرهبانية -تاريخها، طرقها، قيمها-، الأب: يوسف قزي-أميل عقيقي، مرجع سابق، (ص:٥١).

(١٢٦) سفر رؤيا يوحنا (١٤/١-٥).

(١٢٧) جرما الترجمان، محمد حسن علوان، دار تشكيل للنشر والتوزيع، الرياض، ١٤٤٢ه، (ص:٦١).

(١٢٨) إنجيل متى (١٩/١٧-٢١).

ISSN: 2537-0405 eISSN: 2537-0413

وقوله أيضًا: "وَكُلُّ مَنْ تَرَكَ بُيُوتًا أَوْ إِخْوَةً أَوْ أَخَوَاتٍ أَوْ أَبًا أَوْ أُمًّا أَوِ امْرَأَةً أَوْ أَوْلَادًا أَوْ حُقُولًا مِنْ أَجْلِ اسْمِي، يَأْخُذُ مِئَةَ ضِعْفٍ وَيَرِثُ الْحَيَاةَ الأَبَدِيَّةَ"(١٢٩).

وقول بولس: "فَأَطْلُبُ إِلَيْكُمْ أَيُّهَا الإِخْوَةُ بِرَأْفَةِ اللهِ أَنْ تُقَدِّمُوا أَجْسَادَكُمْ ذَبِيحَةً حَيَّةً مُقَدَّسَةً مَرْضِيَّةً عِنْدَ اللهِ، عِبَادَتَكُمُ الْعَقْلِيَّةَ(١٣٠).

واشترطوا لهذه النذور شروطًا عدة، من أهمها: الوفاء بالنذر، ويدل عليه ما جاء في العهد القديم: "أَنْ لَا تَنْذُرُ خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَنْذُرَ وَلَا تَفِيَ"(١٣١)، وفيه أيضًا: "إِذَا نَذَرْتَ نَذْرًا لِلرَّبِّ إِلهِكَ فَلَا تُؤَخِّرْ وَفَاءَهُ، لأَنَّ الرَّبَّ إِلهَكَ يَطْلُبُهُ مِنْكَ فَتَكُونُ عَلَيْكَ خَطِيَّةٌ"(١٣٢)، وفيه أيضًا: "تُصَلِّي لَهُ فَيَسْتَمِعُ لَكَ، وَنُذُورُكَ تُوفِيهَا"(١٣٣)، وفيه أيضًا: "اِذْبَحْ للهِ حَمْدًا، وَأَوْفِ الْعَلِيَّ نُذُورَكَ"(١٣٤).

وكان لهذه النذور أسباب عدة سنتعرَّض لها في الحديث عن الرهبانية، ونستوفي ذلك في موضعه.

لكن هنا بَيَّنَّا أن الناذر يتعيَّن عليه أن ينذر حياته لله، وأن يترك جميع الملاذِّ الجسدية والعاطفية وغيرها، وقد كان بدء هذه النذور تحصل من الأفراد لابتغاء الفرار بالدين، والهروب من مضايقات الرومان، والانقطاع للعبادة، والإعراض عن الملاذ جملةً، والضرب عنها صفحًا(١٣٥).

ولكنها بدأت تتحوَّل وتتطوَّر إلى أن أصبحت في العصور الوسطى من القرن السادس إلى الثامن الميلادي مصدرًا للاسترزاق والعيش عالةً على ما يجود به الولاة على الكنائس، وبثِّ الخرافات من النصوص التي تبيّن فضيلة بذل الأثرياء والأغنياء أموالهم لهؤلاء(١٣٦).

وبعد أن كان الناذر حياته لله منقطعًا عن النساء لا يقترب منهنَّ بحال كما يقول بولس: "وَأَمَّا مِنْ جِهَةِ الأُمُورِ الَّتِي كَتَبْتُمْ لِي عَنْهَا: فَحَسَنٌ لِلرَّجُلِ أَنْ لَا يَمَسَّ امْرَأَةً"(١٣٧)، وقال: "وَلكِنْ أَقُولُ لِغَيْرِ الْمُتَزَوِّجِينَ وَلِلأَرَامِلِ، إِنَّهُ حَسَنٌ لَهُمْ إِذَا لَبِثُوا كَمَا أَنَا"(١٣٨)، أصبح الناذر لا يريد بنذره سواء إشباع رغبته من النساء لتحوُّل

---

(١٢٩) إنجيل متى (٢٩/١٩).
(١٣٠) رسالة بولس الرسول إلى أهل رومية (١/١٢).
(١٣١) سفر الجامعة (٥/ ٥).
(١٣٢) سفر التثنية (٢١/٢٣).
(١٣٣) سفر أيوب (٢٧/٢٢).
(١٣٤) سفر المزامير (٥٠ /١٤).
(١٣٥) تاريخ الكنيسة، يوسابيوس القيصري، ترجمة: القمص مرقس داود، مكتبة المحبة، القاهرة، (ص:٣٥٥-٣٦٦).
(١٣٦) انظر: أوربا في العصور الوسطى، سعيد عبد الفتاح عاشور، مرجع سابق، (١٦٢/١-١٦٤).
(١٣٧) رسالة بولس الرسول الأولى إلى أهل كورنثوس (١/٧).
(١٣٨) رسالة بولس الرسول الأولى إلى أهل كورنثوس (٨/٧).

ISSN: 2537-0405 eISSN: 2537-0413

الكنيسة إلى مكان تجتمع فيه الرجال والنساء، وصار معروفًا للقاصي والداني، وكل من يريد قضاء وطره من النساء فليس عليه سوى التوجه إلى الدير ليجد ما تشتهيه نفسه، ويشهد لذلك قولُ الجاحظ(١٣٩) من: "أن قومًا أرادوا قطع الطريق على مال السُّلطان، فأتتهم المعاينة فأعلمتهم أن السلطان قد نَذَرَ بهم، فساروا ثم عزموا على الاستخفاء في دير العذارى، فصاروا إلى الدير ففُتِح إليهم، فلمَّا استقرَّ حتى سمعوا وقع حوافر الخيل في طلبهم، فلمَّا أمنوا وجاوزتهم الخيل، خلا كلُّ واحدٍ منهم بجارية، هي عنده عذراء، فإذا القسُّ قد فرغ منهنَّ، فقال بعضهم في ذلك:

وألْوَطُ مِنْ راهبٍ يَدَّعي ... بأنَّ النِّساءَ عليه حرامْ
يُحَرِّمُ بيضَاءَ ممكورةً ... ويُغْنيهِ في البُضعِ عنها غلامْ
إذا ما مَشَى غضَّ من طَرْفِهِ ... وفي الدير بالليلِ منهُ عُرامْ
وديرُ العذارى فضوحٌ لهنَّ ... وعندَ اللصوصِ حديثٌ تمامْ(١٤٠)

وإنْ تَعجبْ فعجبٌ فراغه من جميع الراهبات مع كونه أبًا لهنَّ، فلا ينادينه إلا بلفظ: يا أبانا، ومـــن أجل هذا حرَّمـــــــوا عليه الزواج بالنساء اللاتي لسنَ عنده في ديره، لأنه يُعتبر أبًا للنساء اللائي ينتحلنَ النصرانية، ونصُّوا على ذلك في مجمعاتهم، وقامت قوانين تخصُّهم، وتؤيد أبوَّتهم على عامة الرجال والنساء(١٤١).

والأعجب أنهم سمحوا بإنشاء الأديرة الجماعية ليقوم فيها الرجال والنساء بالوفاء بنذورهم الحياتية لله، وكان الباعث على هذه الديارات أن يجمع الراهب بين العبادة وتلبية طبيعته البشرية، فالإنسان لا يقوى على العزلة عن الناس طيلة عمره، فعمدوا إلى إنشاء هذه الدَّيَّارات لما ذكرنا، ولكن إن كانت مخالطة الإنسان للناس جِبِلَّة لا يستطيع الانفكاك عنها(١٤٢).

فكذلك معاشرة النساء، فكيف سمحوا بتلبية حاجته إلى المخالطة، ومنعوا حاجته إلى النساء، نقيضان لا يلتقيان.

ومن أجل هذا أصبحت الدَّيَّارات مأوى لممارسة الفاحشة صباحًا ومساءً، سواء

---

(١٣٩) أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الجاحظ مولى أبي القلمس عمرو بن قلع الكناني من أهل البصرة، وكان للجاحظ من الذكاء وسرعة الخاطر والحفظ ما شاع ذكره وعلا قدره، وكان يبيع الخبز والسمك بسيحان، مات سنة خمس وخمسين ومائتين في خلافة المعتز وقد جاوز التسعين، انظر: إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، ياقوت الحموي، المحقق: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م، (٢١٠١/٥).

(١٤٠) الأمالي، يموت بن المزرع، تحقيق: إبراهيم صالح، دار البشائر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ه-٢٠٠١م، (ص:٨٥-٨٦).

(١٤١) سر الكهنوت وإجابات على أسئلة، الأنبا غريغوريوس أسقف عام للدراسات اللاهوتية، مكتبة الأنبا غريغوريوس، شركة الطباعة المصرية، (ص:١٦٦).

(١٤٢) أوربا في العصور الوسطى، سعيد عبد الفتاح عاشور، مرجع سابق (١٧٢/١).

ISSN: 2537-0405 eISSN: 2537-0413

أكان ممن يدين بديانتهم أم لا، ويشهد لهذا كثرة الأبيات التي قيلت في هذا الباب(١٤٣)، وأصبحت هذه الأديرة مأوى لكل من يهوى الخلاعة، وما يصاحب ذلك من شرب الخمر التي تطفح بها الأديرة، ولولا أننا نُنزّه هذا البحث عن كثير من الأخبار والألفاظ والأبيات التي تمجُّها الأسماع وترفضها الطباع لذكرتُ ما يجعل المقارنة ساقطة بين الأديرة والمواخير، فما قيل في الأديرة، وما أُلِف فيها أكثر بكثير مما قيل في المواخير.

فإذا كان ذلك كذلك، فإن سماحهم للراهبات بالاختلاط مع الرهبان في العصور الوسطى بدعوى الوفاء بالنذور كان مجانبًا للصواب، إذْ يستحيل اجتماع الرجال والنساء في مكان واحد دون أن يميل أحدهم إلى الآخر، فتركوا تعاليم بولس خلف ظهورهم، وهو القائل: "اُهْرُبُوا مِنَ الزِّنَا. كُلُّ خَطِيَّةٍ يَفْعَلُهَا الإِنْسَانُ هِيَ خَارِجَةٌ عَنِ الْجَسَدِ، لكِنَّ الَّذِي يَزْنِي يُخْطِئُ إِلَى جَسَدِهِ"(١٤٤)، فهل يكون الهرب من الزنا بجمع المنقطعين عن النساء مع النساء المنقطعات عن الرجال في مكان واحد يجتمعون ويخلو بعضهم ببعض في ليل ونهار مدة حياتهم، هذا ما لا يكون أبدًا، بل كما جاء في سفر الأمثال: " أَيَأْخُذُ إِنْسَانٌ نَارًا فِي حِضْنِهِ وَلَا تَحْتَرِقُ ثِيَابُهُ؟ أَوَ يَمْشِي إِنْسَانٌ عَلَى الْجَمْرِ وَلَا تَكْتَوِي رِجْلَاهُ؟"(١٤٥).

وأين مراعاة هؤلاء الرهبان والراهبات لقول بولس: "أَمْ لَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ الظَّالِمِينَ لَا يَرِثُونَ مَلَكُوتَ اللهِ؟ لَا تَضِلُّوا: لَا زُنَاةٌ وَلَا عَبَدَةُ أَوْثَانٍ وَلَا فَاسِقُونَ وَلَا مَأْبُونُونَ وَلَا مُضَاجِعُو ذُكُورٍ"(١٤٦)، وهل تذكَّروا عقوبة الزنا المقرَّرة في سفر اللاويين: "وَإِذَا زَنَى رَجُلٌ مَعَ امْرَأَةٍ، فَإِذَا زَنَى مَعَ امْرَأَةِ قَرِيبِهِ، فَإِنَّهُ يُقْتَلُ الزَّانِي وَالزَّانِيَةُ"(١٤٧)، أم أنهم لم يُقْدِموا على النذور إلا ليفعلوا ذلك كما يشهد لذلك كثرة الأخبار المتواترة والمتضافرة والمتكاثرة والمتناثرة التي لا يستريب عاقلٌ في صحتها، ولا ينقضي عجبه من فعل الرهبان والراهبات.

ولعل النصوص التي تحرّم عليهم الزنا لم تلقَ قبولًا أمام نزوات النفس في مكان قد جُهّز ليكون مرتعًا خصبًا لمن يريد ذلك، فالراهبات أكثر من أن يدخلنَ تحتَ الحصرِ والعَدِّ في تلك الأديرة، والخمر تُشرب جهارًا نهارًا، فاستبدلوا تلك النصوص

(١٤٣) انظر: الديارات، الشابشتي، تحقيق: كوركيس عواد، دار الرائد العربي، بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٦ه-١٩٨٦م، (ص: ١٠٩)، المحب والمحبوب والمشموم والمشروب، السري الرفاء، تحقيق: ماجد حسن الذهبي، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، ١٤٠٧ه-١٩٨٦م، (٣٠١/٤)؛ الخزل والدأل بين الدور والدارات والديرة، الحموي، تحقيق: يحيى زكريا -محمد أديب، إحياء التراث العربي، دمشق،١٩٩٨م، (ص:٣٠٢-٣٠٣).

(١٤٤) رسالة بولس الرسول الأولى إلى أهل كورنثوس (١٨/٦).

(١٤٥) سفر الأمثال (٢٨/٦).

(١٤٦) رسالة بولس الرسول الأولى إلى أهل كورنثوس (٩/٦).

(١٤٧) سفر اللاويين (١٠/٢٠).

ISSN: 2537-0405 eISSN: 2537-0413

التي تمنع عليهم ذلك، باختلاق روايات أخرى تتلاءم مع الجوّ الذي يعيشونه كما جاء في يوحنا أن: "يَسُوعُ فَمَضَى إِلَى جَبَلِ الزَّيْتُونِ. ثُمَّ حَضَرَ أَيْضًا إِلَى الْهَيْكَلِ فِي الصُّبْحِ وَجَاءَ إِلَيْهِ جَمِيعُ الشَّعْبِ فَجَلَسَ يُعَلِّمُهُمْ. وَقَدَّمَ إِلَيْهِ الْكَتَبَةُ وَالْفَرِّيسِيُّونَ امْرَأَةً أُمْسِكَتْ فِي زِنًا. وَلَمَّا أَقَامُوهَا فِي الْوَسَطِ قَالُوا لَهُ: يَا مُعَلِّمُ هَذِهِ الْمَرْأَةُ أُمْسِكَتْ وَهِيَ تَزْنِي فِي ذَاتِ الْفِعْلِ وَمُوسَى فِي النَّامُوسِ أَوْصَانَا أَنَّ مِثْلَ هَذِهِ تُرْجَمُ. فَمَاذَا تَقُولُ أَنْتَ؟

قَالُوا هَذَا لِيُجَرِّبُوهُ لِكَيْ يَكُونَ لَهُمْ مَا يَشْتَكُونَ بِهِ عَلَيْهِ. وَأَمَّا يَسُوعُ فَانْحَنَى إِلَى أَسْفَلُ وَكَانَ يَكْتُبُ بِإِصْبِعِهِ عَلَى الأَرْضِ.

وَلَمَّا اسْتَمَرُّوا يَسْأَلُونَهُ انْتَصَبَ وَقَالَ لَهُمْ: مَنْ كَانَ مِنْكُمْ بِلَا خَطِيَّةٍ فَلْيَرْمِهَا أَوَّلًا بِحَجَرٍ! ثُمَّ انْحَنَى أَيْضًا إِلَى أَسْفَلُ وَكَانَ يَكْتُبُ عَلَى الأَرْضِ.

وَأَمَّا هُمْ فَلَمَّا سَمِعُوا وَكَانَتْ ضَمَائِرُهُمْ تُبَكِّتُهُمْ خَرَجُوا وَاحِدًا فَوَاحِدًا مُبْتَدِئِينَ مِنَ الشُّيُوخِ إِلَى الآخِرِينَ.

وَبَقِيَ يَسُوعُ وَحْدَهُ وَالْمَرْأَةُ وَاقِفَةٌ فِي الْوَسَطِ. فَلَمَّا انْتَصَبَ يَسُوعُ وَلَمْ يَنْظُرْ أَحَدًا سِوَى الْمَرْأَةِ قَالَ لَهَا: يَا امْرَأَةُ أَيْنَ هُمْ أُولَئِكَ الْمُشْتَكُونَ عَلَيْكِ؟ أَمَا دَانَكِ أَحَدٌ؟

فَقَالَتْ: لَا أَحَدَ يَا سَيِّدُ. فَقَالَ لَهَا يَسُوعُ: وَلَا أَنَا أَدِينُكِ. اذْهَبِي"(١٤٨)، وهكذا نصٌّ يطفح بالغرائب والعجائب، وكيف يخالف شريعة موسى في رجم الزانية، وهو لم يأتِ لينقض شريعة موسى أصالةً كما تقدَّم.

وكانوا يعرفون ذلك من خلال حبَل النساء وولادتهنَّ من دون زواج، ولهذا يقول الجاحظ عنهم في هذه الفترة الزمنية: "وتزهيدهم في النكاح، وتركهم لطلب الولد، ومديحهم للجاثليق والمطران والأسقف والرهبان، بترك النكاح وطلب النسل، وتعظيمهم الرؤساء علمت أن بين دينهم وبين الزندقة نسبًا، وأنهم يحنُّون إلى ذلك المذهب، والعجب أن كل جاثليق لا ينكح، ولا يطلب الولد. وكذلك كل مطران، وكل أسقف. وكذلك كل أصحاب الصوامع من اليعقوبية، والمقيمين في الديارات والبيوت من النسطورية. وكل راهب في الأرض وراهبة، مع كثرة الرهبان والرواهب، ومع تشبُّه أكثر القسيسين بهم في ذلك، ومع ما فيهم من كثرة الغزاة، وما يكون فيهم مما يكون في الناس، من المرأة العاقر، والرجل العقيم.

على أن من تزوَّج منهم امرأةً لم يقدر على الاستبدال بها، ولا على أن يتزوَّج أخرى معها، ولا على التسرّي عليها.

وهم مع هذا قد طبَّقوا الأرض، ومَلَأُوا الأفاق، وغلبوا الأمم بالعدد، وبكثرة الولد"(١٤٩)، فمن أين جاء هؤلاء الأولاد مع ترك النكاح؟!

ولما رأوا كثرة الأموال التي تتدفق إلى الكنائس ابتدعوا بدعة زواج رجال

---

(١٤٨) إنجيل يوحنا (٨/١-١١).

(١٤٩) رسائل الجاحظ، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، عام النشر: ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤ م، (٣/ ٣٢١- ٣٢٢).

ISSN: 2537-0405 eISSN: 2537-0413

الدين، مدَّعين أنه لا يوجد أيُّ نصٍّ يدفعهم لترك هذه الدنيا والرحيل عنها بغير ذرية ترث عنهم ما يخلِّفونه من أموال، شيءٌ غير معقول أو مقبول عندهم، وهكذا ظلُّوا في أخذٍ وردٍّ، ونزاعٍ مع الآخرين حول مسألة زواج رجال الدين حتى عُقدت من أجلها العديد من المجمعات في منتصف القرن الحادي عشر، فاستمرت قرونًا عدة حتى حُسم الرأي فيها(١٥٠).

المسألة الثانية: الختان:

سبق الحديث عن إلغاء بولس لشريعة موسى، والذي يهمنا هنا أن النصارى في القرن السادس وما بعده بدأوا يذكرون أشياء تتعلق بالختان تكذِّب ما جاء في العهد القديم، مع أن المسيح عليه الصلاة والسلام كان يتعبَّد بشريعة موسى، فها هو يختتن في اليوم الثامن كما في لوقا: " وَلَمَّا تَمَّتْ ثَمَانِيَةُ أَيَّامٍ لِيَخْتِنُوا الصَّبِيَّ سُمِّيَ يَسُوعَ، كَمَا تَسَمَّى مِنَ الْمَلاَكِ قَبْلَ أَنْ حُبِلَ بِهِ فِي الْبَطْنِ"(١٥١).

وهذا الأمر بعينه في شريعة موسى، ففي العهد القديم: " وَأُقِيمُ عَهْدِي بَيْنِي وَبَيْنَكَ، وَبَيْنَ نَسْلِكَ مِنْ بَعْدِكَ فِي أَجْيَالِهِمْ، عَهْدًا أَبَدِيًّا، لأَكُونَ إِلهًا لَكَ وَلِنَسْلِكَ مِنْ بَعْدِكَ. هذَا هُوَ عَهْدِي الَّذِي تَحْفَظُونَهُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ، وَبَيْنَ نَسْلِكَ مِنْ بَعْدِكَ: يُخْتَنُ مِنْكُمْ كُلُّ ذَكَرٍ ابنُ ثمانيةِ أيّامٍ تَختِنونَه مدَى أجيالِكُم. وَلِيدُ الْبَيْتِ، وَالْمُبْتَاعُ بِفِضَّةٍ مِنْ كُلِّ ابْنِ غَرِيبٍ لَيْسَ مِنْ نَسْلِكَ. يُخْتَنُ خِتَانًا وَلِيدُ بَيْتِكَ وَالْمُبْتَاعُ بِفِضَّتِكَ، فَيَكُونُ عَهْدِي فِي لَحْمِكُمْ عَهْدًا أَبَدِيًّا. وَأَمَّا الذَّكَرُ الأَغْلَفُ الَّذِي لاَ يُخْتَنُ فِي لَحْمِ غُرْلَتِهِ فَتُقْطَعُ تِلْكَ النَّفْسُ مِنْ شَعْبِهَا. إِنَّهُ قَدْ نَكَثَ عَهْدِي... فَأَخَذَ إِبْرَاهِيمُ إِسْمَاعِيلَ ابْنَهُ، وَجَمِيعَ وِلْدَانِ بَيْتِهِ، وَجَمِيعَ الْمُبْتَاعِينَ بِفِضَّتِهِ، كُلَّ ذَكَرٍ مِنْ أَهْلِ بَيْتِ إِبْرَاهِيمَ، وَخَتَنَ لَحْمَ غُرْلَتِهِمْ فِي ذلِكَ الْيَوْمِ عَيْنِهِ كَمَا كَلَّمَهُ اللهُ. وَكَانَ إِبْرَاهِيمُ ابْنَ تِسْعٍ وَتِسْعِينَ سَنَةً حِينَ خُتِنَ فِي لَحْمِ غُرْلَتِهِ، وَكَانَ إِسْمَاعِيلُ ابْنُهُ ابْنَ ثَلاَثَ عَشَرَةَ سَنَةً حِينَ خُتِنَ فِي لَحْمِ غُرْلَتِهِ. فِي ذلِكَ الْيَوْمِ عَيْنِهِ خُتِنَ إِبْرَاهِيمُ وَإِسْمَاعِيلُ ابْنُهُ. وَكُلُّ رِجَالِ بَيْتِهِ وِلْدَانِ الْبَيْتِ وَالْمُبْتَاعِينَ بِالْفِضَّةِ مِنِ ابْنِ الْغَرِيبِ خُتِنُوا مَعَهُ "(١٥٢).

بل يذهبون إلى عدم الزواج من قوم لا يقومون بعملية الختان، ففي العهد القديم: " فَقَالَ لَهُ أَبُوهُ وَأُمُّهُ: أَلَيْسَ فِي بَنَاتِ إِخْوَتِكَ وَفِي كُلِّ شَعْبِي امْرَأَةٌ حَتَّى أَنَّكَ ذَاهِبٌ لِتَأْخُذَ امْرَأَةً مِنَ الْفِلِسْطِينِيِّينَ الْغُلْفِ؟"(١٥٣)، وفيه أيضًا: " فَقَالُوا لَهُمَا: لاَ نَسْتَطِيعُ أَنْ نَفْعَلَ هذَا الأَمْرَ أَنْ نُعْطِيَ أُخْتَنَا لِرَجُلٍ أَغْلَفَ، لأَنَّهُ عَارٌ لَنَا"(١٥٤).

ويُمنع غير المختون من دخول الأماكن المقدسة، ففي العهد القديم: " اِسْتَيْقِظِي،

(١٥٠) محاضرات في تاريخ الكنيسة الغربية، يواقيم رزق مرقص، https://2u.pw/0v25HJ.
(١٥١) إنجيل لوقا (٢٨/٢).
(١٥٢) سفر التكوين (٩/١٧-١٥).
(١٥٣) سفر القضاة (٣/١٤).
(١٥٤) سفر التكوين (١٤/٣٤).

ISSN: 2537-0405 eISSN: 2537-0413

اسْتَيْقِظِي! الْبَسِي عِزَّكِ يَا صِهْيَوْنُ! الْبَسِي ثِيَابَ جَمَالِكِ يَا أُورُشَلِيمُ، الْمَدِينَةُ الْمُقَدَّسَةُ، لأَنَّهُ لَا يَعُودُ يَدْخُلُكِ فِي مَا بَعْدُ أَغْلَفُ وَلَا نَجِسٌ"(١٥٥).

وكذلك جاء في إنجيل برنابا ما يحرم غير المختتن من الجنة، وإن لم يقبل النصارى به: "دعوا الخوف للذي لم يقطع غُرلته، لأنه محروم من الفردوس"(١٥٦)، ويُذكَر في أعمال الرسل خلاف النصارى مع بولس في مسألة الختان(١٥٧).

ولكنه كان يفرض رأيه على مَن عداه كما فعل في المسائل التي اخترعها وابتدعها، ومن ذلك: أن اليهود يرون الختان في الجسد والروح، ولا يجوز الاقتصار على ختان الروح دون الجسد، بل الختان لكليهما، وقد جاء في العهد القديم: " وَيَخْتِنُ الرَّبُّ إِلهُكَ قَلْبَكَ وَقَلْبَ نَسْلِكَ، لِكَيْ تُحِبَّ الرَّبَّ إِلهَكَ مِنْ كُلِّ قَلْبِكَ. وَمِنْ كُلِّ نَفْسِكَ لِتَحْيَا"(١٥٨)، وفيه أيضًا: " فَاخْتِنُوا غُرْلَةَ قُلُوبِكُمْ، وَلَا تُصَلِّبُوا رِقَابَكُمْ بَعْدُ"(١٥٩).

وفيه أيضًا: "بِإِدْخَالِكُمْ أَبْنَاءَ الْغَرِيبِ الْغُلْفَ الْقُلُوبِ الْغُلْفَ اللَّحْمِ لِيَكُونُوا فِي مَقْدِسِي، فَيُنَجِّسُوا بَيْتِي بِتَقْرِيبِكُمْ خُبْزِي الشَّحْمَ وَالدَّمَ. فَنَقَضُوا عَهْدِي فَوْقَ كُلِّ رَجَاسَاتِكُمْ"(١٦٠).

وفيه أيضًا: " مِصْرَ وَيَهُوذَا وَأَدُومَ وَبَنِي عَمُّونَ وَمُوآبَ، وَكُلَّ مَقْصُوصِي الشَّعْرِ مُسْتَدِيرًا السَّاكِنِينَ فِي الْبَرِّيَّةِ، لأَنَّ كُلَّ الأُمَمِ غُلْفٌ، وَكُلَّ بَيْتِ إِسْرَائِيلَ غُلْفُ الْقُلُوبِ"(١٦١).

وجوه نقد القضايا النصرانية المطوَّرة في القرن السادس إلى القرن الثامن الميلادي

١) ظهر التغير والاختلاف لدى الجماعات النصرانية بسبب مجموعة من الثقافات والأفكار المناوئة للديانات السماوية، ولا يمكن الجمع بينها وبين الديانات السماوية بأيّ حال من الأحوال، فتفرَّقوا بسبب ذلك أيدي سبأ.

٢) كانت عامة النصارى على آراء فاسدة، وأفكار منحرفة، فبدأت الفِرْقة البولسية التي لم تقل بالتثليث، بل كانت القضية مقتصرة على الابن والآب، وإلا فبولس يعترف بأن عيسى هو بشرٌ من نسلِ بشرٍ، لا يتصف بالألوهية، ولكنه فتح بابًا

(١٥٥) سفر إشعياء (٥٢ /١).
(١٥٦) إنجيل برنابا (٢٣/ ١٧).
(١٥٧) سفر أعمال الرسل (١٥/٥).
(١٥٨) سفر التثنية (٣٠/٦).
(١٥٩) سفر التثنية (١٠/١٦).
(١٦٠) سفر حزقيال (٤٤/٧).
(١٦١) سفر إرميا (٩/٢٦).

ISSN: 2537-0405 eISSN: 2537-0413

للتنازع والتشرذم.

٣) جعل النصارى مصدر دينهم آراء الرجال وأفكارهم التي تضادُّ الوحي وتُنافيه ولا تتفق معه، ومن هنا ظهر التعصُّب من قِبل الأتباع، وأورثهم ذلك التكفير والتفسيق الذي أجَّج نار الخلاف بين الجماعات النصرانية.

٤) لم تكن أسباب زعماء هذه الجماعات واحدة في أفكارهم التي تبنَّوها، بل كلٌّ له سببٌ وداعٍ في نِحْلته التي ابتدعها.

٥) ابتدع النصارى قضية المجامع التي لعبت دورًا عظيمًا في توطيد الخلاف بين الجماعات النصرانية، لعدم قيامها بما أُنشئت من أجله، فالشيء الذي يعتمد على الفكر والنظر والتأمل عندما يُحاد عنه إلى الديكتاتورية في فرض الآراء والاعتياض بها عن الحُجَّة والإقناع المبني على البراهين والأدلة؛ يجعل النتائج عكسية، وهذا الأمر هو ما حصل بعينه في نتائج هذه المجامع.

٦) الخلاف الكبير في شخص المسيح يدل دلالة واضحة على أنهم حادوا عن الطريق الصحيح فيه عليه الصلاة والسلام.

٧) ظهور أكبر الجماعات النصرانية المنطوية تحت فرقتين رئيستين -هما الأرثوذكسية، والكاثوليكية- لم يجعل النصارى محصورين في أفكار هاتين الفرقتين، بل ظلَّ ظهور الفرق قائمًا على قدمٍ وساقٍ.

٨) ظهر التطوير للفرق النصرانية بسبب حضور مقتضى ذلك التطوير كما هو الشأن في فرقة النسطورية.

٩) أحدثت النسطورية اضطراباً وسط النصرانية، ومن أهم ما تحدثت عنه هذه الفرقة هو انفصال طبيعة اللاهوت عن الناسوت، فنفت ألوهية المسيح ومنعت تسمية مريم بوالدة الإله.

١٠) يرى النسطوريون أن للمسيح جوهرين، لكن يرى نسطور الحكيم أن الجوهر الناسوتي يمكن أن يختفي لحظة من اللحظات ويبقى الجوهر اللاهوتي في صورته التدريجية، فكان هو من جاء بفكرة الجوهرين، إذ لم يأت بها أحد قبله.

١١) أظهر نسطور الحكيم إنسانية المسيح وأصرَّ عليها وكرَّرها في مواقف شتى شغلت صفحات عديدة من المؤلَّفات التي حكت آراءهم وتناولت أفكارهم، واعتبرها البعض بمثابة إعلان حرب، يشنُّها النساطرة على الكنيسة الأرثوذكسية التي تبنَّى أفرادها تأليه المسيح تأليهًا كاملًا.

١٢) الطائفة المارونية نشأت في الزمان الذي وقع فيه الجدال في الكنيسة حول المشيئتين في السيد المسيح؛ وإنما انفصل الموارنة عن سائر الطوائف النصرانية لتمسُّكهم بعقيدة المشيئة الواحدة في المسيح ورفضهم تحديد المجمع السادس مع قولهم مع الملكية بالطبيعتين في المسيح، واحتفظوا بملامح عقيدتهم الخاصة المميزة فهي قبل كل شيء مستقلة استقلالًا محليًّا.

١٣) تعدد المذاهب أدى إلى تعدد الكنائس، مما أدى إلى تشعب أهواء النصارى

ISSN: 2537-0405 eISSN: 2537-0413

واختلفت عقائدهم.

١٤) ما أنشأ المسيح عليه الصلاة والسلام كنيسة، ومن ثم فإن ذلك الاختلاف الذي ظهر في الكنيسة كان سببه بدعيَّتها وعدم وجود ما يدل عليها.

١٥) أن الأسرار السبعة للكنيسة تطوَّرت بشكلٍ جعل منها شيئًا قريبًا من ابتداعها، ويزعم النصارى أن للأسرار الكنسية أهميتها وفاعليتها للممارسين لها، ويرتِّبون لكل سر أهمية خاصة به وفعلًا ناتجًا عنه.

١٦) الأسرار السبعة، قضايا مستوحاة من الوثنية كما يقول أندريه نايتون: "ونحن لا نبالغ إذا قلنا: إن ما يُعرف بالأسرار الدينية في المسيحية مستوحى من الأديان الوثنية القديمة"، فلم يكن للمسيحيين في الأصل معابد، أو مذابح أو أضاحيّ أو كهنة أو أيُّ شيء من الأبَّهة التي كانت للوثنيين ولليهود؛ والتي كانت تبهر العوامَّ، فرأى الأساقفة ضرورة إدخال بعض الشعائر الخارجية التي تبهر حواسَّ الناس فاتخذوا من الشعائر الوثنية ومن الشعائر اليهودية ما يصلح لأن يندمج في العبادة المسيحية.

١٧) الاختلاف والشقاق بين النصارى قائم لا حد له، مما أدى إلى انشقاق الكنائس وتفرقها، ومن ذلك الخلاف بين الكنيسة القسطنطينية والكنيسة الرومانية، حيث كانت الأولى تعتقد أن روح القدس من الأب وحده لا من الأب والابن، بينما الرومانية تعتقد أن روح القدس من الأب والابن معاً، ولقد تبع الاختلافَ في هاتين المسألتين الرئيسيتين خلافٌ في مسائل أخرى أوجدها تتابعُ السنين واستمرار الشقاق، فقد كثرت أوجه الاختلاف في مسائل فرعية.

١٨) ومن أسباب انشقاق الكنائس واختلاف رؤسائها الأسباب السياسية التي أدَّت إلى الانشقاق، وضاعفت الصراع الذي حدث بين الكنيسة والعلماء وحرص الباباوات على السلطة والرياسة ودعم ذلك بالسيطرة المالية، والتنازع على الكراسي البابوية، والصراع بين الكنيسة والدولة.

١٩) المجامع عند النصارى نوعان: مجامع مسكونيَّة، ومجامع مكانيَّة أو إقليميَّة، ومنهم من يقسِّم المجامع إلى ثلاثة أقسام: مجامع عامَّة، ويقال لها مسكونيَّة، ومجامع مِلِّيَّة، أي: خاصة بطائفة دون غيرها، ومجامع إقليميَّة، أي: خاصة بإقليم مخصوص.

٢٠) انتشار هذه المجامع أدت إلى إعطاء النصارى الحق لأنفسهم في إصدار الأحكام على المبتدعين والمخالفين لقوانين الكنيسة، بل وزعموا العصمة لقرارات هذه المجامع.

٢١) أدت هذه المجامع إلى الانشقاق فقد كان عدد المجامع في القرن السادس إلى القرن الثامن الميلادي ثلاثة مجامع وهي: المجمع الأول: (مجمع نيقية).المجمع الثاني: (مجمع القسطنطينية)، المجمع الثالث (مجمع أفسس).

ISSN: 2537-0405 eISSN: 2537-0413

مظاهر تطور النصرانية والجماعات النصرانية ما بين القرن السادس والثامن الميلادي من حيث الانقسام

حصل انشقاق عظيم بين النصارى وذلك أمر غير مستبعَد ولا متعذِّر، وذلك لما يعتري هذه الديانة من تحريف وتبديل وتغيير وتطوير، مع أنهم يزعمون أن الكنيسة وتعاليمها وأفكارها قد أسَّسها ربُّ المجد بروحه القدس، ويستدلون بما جاء في مَتَّى: "وَلَمَّا وَصَلَ يَسُوعُ إِلَى نَوَاحِي قَيْصَرِيَّةِ فِيلُبُّسَ، سَأَلَ تَلامِيذَهُ: مَنْ يَقُولُ النَّاسُ إِنِّي أَنَا، ابْنَ الإِنْسَانِ؟ فَأَجَابُوهُ: يَقُولُ بَعْضُهُمْ إِنَّكَ يُوحَنَّا الْمَعْمَدَانُ، وَغَيْرُهُمْ إِنَّكَ النَّبِيُّ إِيلِيَّا، وآخَرُونَ إِنَّكَ إِرْمِيَا، أَوْ وَاحِدٌ مِنَ الأَنْبِيَاءِ. فَسَأَلَهُمْ: وَأَنْتُمْ، مَنْ تَقُولُونَ إِنِّي أَنَا؟ فَأَجَابَ سِمْعَانُ بُطْرُسُ قَائِلًا: أَنْتَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ اللهِ الْحَيِّ! فَقَالَ لَهُ يَسُوعُ: طُوبَى لَكَ يَا سِمْعَانَ بْنَ يُونَا. فَمَا أَعْلَنَ لَكَ هَذَا لَحْمٌ وَدَمٌ، بَلْ أَبِي الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ"[١٦٢][١٦٣].

ولكن من يلاحظ الانشقاق الحاصل بينهم يجده ماثلًا أمام عينه، وها هو بولس يعترف به ويقول: "وَأَطْلُبُ إِلَيْكُمْ أَيُّهَا الإِخْوَةُ أَنْ تُلاَحِظُوا الَّذِينَ يَصْنَعُونَ الشِّقَاقَاتِ وَالْعَثَرَاتِ، خِلاَفًا لِلتَّعْلِيمِ الَّذِي تَعَلَّمْتُمُوهُ، وَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ. لأَنَّ مِثْلَ هؤُلاَءِ لاَ يَخْدِمُونَ رَبَّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحَ بَلْ بُطُونَهُمْ"[١٦٤].

ويبيّن لوقا سببًا من أسباب النزاع فيقول: "وَانْحَدَرَ قَوْمٌ مِنَ الْيَهُودِيَّةِ، وَجَعَلُوا يُعَلِّمُونَ الإِخْوَةَ أَنَّهُ إِنْ لَمْ تَخْتَتِنُوا حَسَبَ عَادَةِ مُوسَى، لاَ يُمْكِنُكُمْ أَنْ تَخْلُصُوا. فَلَمَّا حَصَلَ لِبُولُسَ وَبَرْنَابَا مُنَازَعَةٌ وَمُبَاحَثَةٌ لَيْسَتْ بِقَلِيلَةٍ مَعَهُمْ، رَتَّبُوا أَنْ يَصْعَدَ بُولُسُ وَبَرْنَابَا وَأُنَاسٌ آخَرُونَ مِنْهُمْ إِلَى الرُّسُلِ وَالْمَشَايِخِ إِلَى أُورُشَلِيمَ مِنْ أَجْلِ هذِهِ الْمَسْأَلَةِ... وَلَمَّا حَضَرُوا إِلَى أُورُشَلِيمَ قَبِلَتْهُمُ الْكَنِيسَةُ وَالرُّسُلُ وَالْمَشَايِخُ، فَأَخْبَرُوهُمْ بِكُلِّ مَا صَنَعَ اللهُ مَعَهُمْ. وَلكِنْ قَامَ أُنَاسٌ مِنَ الَّذِينَ كَانُوا قَدْ آمَنُوا مِنْ مَذْهَبِ الْفَرِّيسِيِّينَ، وَقَالُوا: إِنَّهُ يَنْبَغِي أَنْ يُخْتَنُوا، وَيُوصَوْا بِأَنْ يَحْفَظُوا نَامُوسَ مُوسَى. فَاجْتَمَعَ الرُّسُلُ وَالْمَشَايِخُ لِيَنْظُرُوا فِي هذَا الأَمْرِ. فَبَعْدَ مَا حَصَلَتْ مُبَاحَثَةٌ كَثِيرَةٌ قَامَ بُطْرُسُ وَقَالَ لَهُمْ: أَيُّهَا الرِّجَالُ الإِخْوَةُ، أَنْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنْذُ أَيَّامٍ قَدِيمَةٍ اخْتَارَ اللهُ بَيْنَنَا أَنَّهُ بِفَمِي يَسْمَعُ الأُمَمُ كَلِمَةَ الإِنْجِيلِ وَيُؤْمِنُونَ"[١٦٥].

وهذا الانشقاق كان ولا زال وسيظل، من يوم أن تغرَّبت روما عن إيمان الكنيسة الجامعة في نظر الأرثوذوكس، ومهما حاول المصلحون بينهم أن يقوموا بردم الهوَّة بين كنيستين تباعدتا ليس فقط في الإيمان والعقيدة والفكر، بل وفي نمط الحياة أيضًا فإنهم يعودون بالخيبة والخَسَار[١٦٦].

---

(١٦٢) إنجيل متى (١٦/١٣-١٨).
(١٦٣) انظر: تاريخ انشقاق الكنائس، القمص: زكريا بطرس، (ص:٣).
(١٦٤) رسالة بولس الرسول إلى أهل رومية (١٦/١٧-١٩).
(١٦٥) سفر أعمال الرسل (١٥/١-٦).
(١٦٦) اهتدائي إلى الأرثوذكسية، نازينزوس بول دي بالستر، ترجمة: رولا الحاج، تعاونية النور

ISSN: 2537-0405 eISSN: 2537-0413

إذا تقرَّر هذا؛ ففي هذا المبحث سنتعرَّض لهذا الانشقاق والانقسام وذلك من خلال مطلبين:

المطلب الأول: سبب انقسام النصارى

سبق الحديث عن الانشقاق في هذه الديانة منذ لحظة رفع المسيح عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام، وهذا الانشقاق كانت له أسباب عدة، يمكن ذكر بعضها:

السبب الأول: الهرطقة:- يجعل النصارى الهرطقة سببًا رئيسيًّا في الانشقاق على مرِّ العصور، ويعتبرونها تفريق ما جمعه المسيح في شخصه، "فالإبيونيون لم يروا في المسيح إلا نبيًّا عظيمًا، خَصَّه الله بشرطٍ وافرٍ من الحكمة، والمشبِّهون لم يروا فيه إنسانًا؛ والآريوسيون جعلوه مخلوقًا وسطًا بين الله والإنسان، والنساطرة قالوا إنه وُلِدَ إنسانًا ثم حلَّ فيه روحُ الله، وبالتالي فالعذراء أم يسوع لا والدة الإله؛ والمونوفيسيون قالوا بطبيعة واحدة إلهية لا بطبيعتين إلهية وبشرية؛ والمونوتيليون قالوا بمشيئة واحدة إلهية لا بمشيئتين إلهية وبشرية؛ ولم تكن حرب الأيقونات نزاعًا سطحيًّا حول طقس معيَّن من طقوس الكنيسة، وإنما كانت بحثًا في سر التجسُّد نفسه؛ فمَن حاربَ الأيقونات أَنْكَرَ حرمةَ شكلِ الإله المنظور. وهَدَّدَ سِرَّ التجسُّد بالانهيار، وإنكار الأسرار المقدسة عند الإنجيليين، ولا سِيَّما سر الاستحالة، هو في حدِّ ذاته خروجٌ على اتحاد الإله الكامل بالإنسان الكامل، ففي المسيح يحلُّ كلُّ ملء اللاهوت جسديًّا وفيه نحن نمتلئ"[١٦٧].

وهذا كلام خصم عن خصومه، فهو يراهم مهرطقين، وهم يرونه كذلك، فأيٌّ منهما يُقبل قوله في مدى الموافقة للدين النصراني أو المفارقة له.

السبب الثاني: الاعتراف ببعض المجامع دون بعضها: تقدَّم الحديث عن المجامع ودورها في تأجيج النزاع وتصعيد الخلاف بين الفرق النصرانية، وبيانها بأن النصرانية ليست دينًا له معالم واضحة ولا رأي واحد تجاه الشخصية الذي يزعمون اتِّباعهم له، فشكَّلت شخصية المسيح وطبيعته إشكالية كبيرة عند النصارى، فعقدوا لذلك أكثر من مجمع، لعن فيه بعضهم بعضًا، وكفَّر فيه بعضهم بعضًا، حتى جاء مجمع خلقيدونية، فأحدث بينهم الانشقاق الأول الذي تلاه العديد من الانشقاقات[١٦٨].

السبب الثالث: سعي الكنيسة الغربية إلى التقليل من شأن الكنيسة الشرقية ورجالاتها، ومن ذلك: التوعُّد بالعقاب على من لا يقول "بأن بولس الرسول لم يمارس قَطُّ عمله الرسولي بحرية أو استقلالية. ويعني ذلك أنَّ بولس منذ لحظة اعتناقه المسيحية إلى حين وفاته كان يخضع لسلطة بطرس الرسول الدائمة باعتباره رأسًا وحيدًا للكنيسة والأوَّل بين البابوات والقادة، ويؤكد المرسوم أيضًا أن سلطة بطرس المطلقة توارثها

الأرثوذكسية للنشر والتوزيع، بيروت، ٢٠١٤م، (ص:٣).

(١٦٧) كنيسة مدينة الله أنطاكية العظمى، أسد رستم، مرجع سابق، (٩/١).

(١٦٨) كنيستي الأرثوذكسية ما أجملك، الشماس الإكليريكي، سامي حلمي، مرجع سابق، (ص:/١٩).

ISSN: 2537-0405 eISSN: 2537-0413

حصريًّا بابوات روما وأساقفتها الذين تعاقبوا عبر الخلافة المباشرة.

وهكذا نُظِّمت حملة مناهضة حقيقيَّة في الغرب ترمي إلى تشويه التعاليم الأرثوذكسية المتعلِّقة بأوَّليَّة الشرف التي كانت للرسول بطرس. والهدف من ذلك كان مزدوجًا:

الأوَّل: يسعى إلى وضع أساس لاهوتي للقيصريَّة البابويَّة.

الثاني: فهو التقليل من أهمية مكانة البطاركة الشرقيين بالمقابلة مع مكانة باباوات روما"[١٦٩].

وهكذا استرسلوا في التحقير والحطِّ من شأن الكنيسة الشرقية، ومن ذلك قولهم: "إننا نعترف ونؤمن لكنيسة واحدة مقدسة جامعة ورسولية ليس لمن خرج عنها خلاص. ونعترف أيضًا بأنها واحدة، أعني: جسمًا واحدًا ذا رأس واحد لا اثنين كفلتاتِ الطبيعة، فرأسها هو يسوع المسيح وحده، والقديس بطرس نائبه والبابا خليفة القديس بُطرس ووريثة، فإذا كان الروم أو غيرهم يقولون بأنهم غير خاضعين لخليفته يعترفوا بذلك أنهم ليسوا خراف المسيح لأنه هو قال: رعيَّة واحدة، وراعٍ واحد"[١٧٠].

ويؤكد أحد الأرثوذكس هذا المعنى فيقول: "إنه لمنَ المؤسف أن تكون المنافسات بين الإمبراطوريتين: رومة وبيزنطية، وتتويج البربري شارلمان في العام ٨٠٠م إمبراطورًا على يد البابا لاون الثالث، وتجاوزات الصليبيين وتطاولهم على الكنائس الشرقية ورجالها ومقدساتها، وإحلال رئاسات دينية لاتينية محلَّ الرئاسات المحلية الشرعية في الشرق، واحتلال اللاتين للقسطنطينية فيما بعد، والقضاء بذلك على الإمبراطورية البيزنطية.

من المؤسف أن تكون هذه الأحداث المتتابعة وغيرها قد عمَّقت الشُّقَّة بين الكنيسة الرومانية والكنيسة البيزنطية، كما كانت بيزنطة قد عمَّقت بتجاوزاتها الخطيرة الشُّقَّة بينها وبين كنائس الشرق القديمة، وكان الحرمان المتبادل بين رومة والقسطنطينية يعني أكثر من انفصال مؤقت بين شطري الكنيسة الواحدة، إذ دفعت كلٌّ منهما بشقيقتها إلى خارج الكنيسة"[١٧١].

السبب الرابع: ظهور المصطلحات الجديدة التي تخالف ما تواضعت عليه الكنيسة: -

بعد أن ظهر القانون المتعلق بالكنيسة والوظائف التي يتولَّاها من يمارسون العمل فيها، كان هناك مصطلح "البابا"، وكان يُطلق على كل أسقف؛ ولكن مع بدايات القرن السادس الميلادي أصبح المصطلح يُستخدم في الكنيسة الغربية للدلالة على أسقف روما خاصة؛ والذي يعتبره الكاثوليك خليفة القديس بطرس الأول، وهو

---

(١٦٩) اهتدائي إلى الأرثوذكسية، نازينزوس بول دي بالستر، مرجع سابق، (ص:٢٠-٢١).

(١٧٠) تاريخ الانشقاق بين الكنيستين الشرقية والغربية من القرن الأول إلى القرن الحادي عشر، اللاذقي، الأرشمندريتي جراسيموس مسرَّة، الطبعة: الأولى، (ص:٤٠-٤١).

(١٧١) ألسنا كلنا منشقين، المطران: إلياس الزغبي، مرجع سابق، (ص:٣٢).

ISSN: 2537-0405 eISSN: 2537-0413

معصوم ومنزَّه عن الخطأ[١٧٢].

وليس هذا فحسب، بل أضفوا عليه من الألقاب ما جعل الموقف يتأجَّج أعظمَ مما كان عليه، فلم يُقيموا وزنًا للكنيسة الشرقية، وأهملوا دور الأرثوذكس، واعتبروهم غير موجودين، وأن القول هو للكنيسة الغربية فقط، يصرّح بهذا الاستغراب من هذا الموقف أحدُ الأرثوذكس فيقول: "وفقًا للمفهوم الكاثوليكي ليست الكنيسة إلا ملكية مطلقة، وحاكمها المطلق هو البابا الذي يقوم بدوره انطلاقًا من هذا المفهوم على ملكية أسقف روما هذه ترتكز قوَّة الكنيسة واستقرارها كلها، وإلا لما كان باستطاعتها أن توجد، كذلك ترتكز المسيحية ذاتها بالكامل على هذه القاعدة البابوية، وأيضًا أكثر من هذا تُعتبر البابوية العنصر الأكثر أَهمية في المسيحية، وخلاصتها وجوهرها.

سلطة البابا الملكيّة - باعتباره رأس الكنيسة وقائدها الأعلى وحَجَر زاويتها والمعلِّم المعصوم عن الخطأ في الإيمان وممثِّل الله على الأرض، وراعي الرعاة ورئيس الكهنة الأعلى، تُعتبر مُلْزِمة بشكلٍ مطلق، ويمكن ممارستها في أيِّ وقت وتمتدُّ إلى المسكونة كلها.

تبسط هذه السلطة -عبر الحق الإلهي- على كل مسيحي معمَّد في العالم أجمع، ويمكن تطبيق هذه السلطة الديكتاتوريّة بصورة مباشرة وفي أيِّ لحظة على أيِّ مسيحيّ سواء أكان علمانيًّا أم إكليريكيًّا، أسقفًا أم رئيسَ أساقفة أم كاردينالًا أم بطريركًا. كما يمكن تطبيقها على أيِّ كنيسة مهما كان شكل خدمتها أو لغتها؛ لأنَّ البابا هو الأسقف الأعلى في كل أسقفيَّة في العالم أجمع.

أولئك الذين يرفضون الاعتراف بسلطة البابا أو الذين لا يخضعون له بصورة عمياء، يَعتبرون المنشقين هراطقة وكفرة ومدنِّسين للمقدسات. وتاليًا قُدِّر لنفوسهم أن تُرمى في الظُّلمة الخارجية؛ لأنَّ الشرط الأساس لخلاص نفوسهم هو الإيمان بالعقيدة البابوية التي هي من عند الله والخضوع للبابا كممثِّل لها"[١٧٣].

وهكذا تعددت الأسباب وتنوعت في وجود ظلِّ التحذير من ذلك، قال يوحنا الذهبي: "إن الذي يشقُّ كنيسة الله يعمل عملًا أفظع من إنكار الإيمان. لأن الذي ينكر الإيمان يُهلك نفسًا واحدة، وأما الذي يشقُّ الكنيسة فإنه يُهلك نفوسًا كثيرة"[١٧٤]، وقال: "لا شيء يستطيع أن يشقَّ الكنيسة مثل حبِّ الرئاسة، ولا شيء يُغضب الله اكثر من

---

(١٧٢) الأوضاع الدينية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية في الغرب الأوروبي من القرن التاسع حتى القرن الحادي عشر، نيفين ظافر حسيب الكردي، رسالة مقدمة لاستكمال متطلبات الحصول على درجة الماجستير في التاريخ الإسلامي، قسم التاريخ والآثار بكلية الآداب في الجامعة الإسلامية بغزة – فلسطين، ٢٠١١م، (ص:٤).

(١٧٣) اهتدائي إلى الأرثوذكسية، نازينزوس بول دي بالستر، مرجع سابق، (ص:٢٠-٢١).

(١٧٤) كنيسة مدينة الله أنطاكية العظمى، أسد رستم، مرجع سابق، (١٠/١).

ISSN: 2537-0405 eISSN: 2537-0413

انشقاق الكنيسة. وسبب ذلك حبُّ الرئاسة"(١٧٥)، ويضيف رستم: "وعلى كل مؤمن أن يراقب هؤلاء الذين يُحدثون الشكوك والشقاق وأن يُعرض عنهم؛ لأنهم على حدِّ قول بولس الرسول: لا يخدمون المسيح بل بطونهم"(١٧٦).

ولكن الخلاف والتنازع هو الأصل عند هؤلاء القوم، قال الدكتور ألفرد. ج. بتلر: "إن ذينك القرنين كانا عهد نضال متصل بين المصريين والرومانيين، نضال يذكيه اختلاف في الجنس واختلاف في الدين، وكان اختلاف الدين أشدَّ من اختلاف الجنس، إذ كانت علة العلل في ذلك الوقت تلك العداوة بين الملكانية والمنوفيسية، وكانت الطائفة الأولى -كما يدلُّ اسمها- حزب مذهب الدولة الإمبراطورية وحزب الملك والبلاد، وكانت تعتقد العقيدة السنية الموروثة، وهي ازدواج طبيعة المسيح، على حين أن الطائفة الأخرى وهي حزب القبط المنوفيسيين -أهل مصر- كانت تستبشع تلك العقيدة وتستفظعها، وتحاربها حربًا عنيفة في حماسة هوجاء يصعب علينا أن نتصوَّرها أو نعرف كنهها في قوم يعقلون، بل يؤمنون بالإنجيل"(١٧٧)، وقال القس حنا جرجس -بعد حديثه عن عقيدة آريوس-: "إن آريوس لم يكن الأول، ولن يكون الأخير الذي يهاجم عقيدة لاهوت الابن، فحتى بعد موته سيقوم آريوس كثيرون ينهجون منهجه، ويسلكون في نفس الطريق الذي سلك فيه، وينادون بتعاليمه، بل ينادون بتعاليم أخرى أكثر ضلالًا، ويهاجمون التعاليم الصحيحة، وهكذا لا نقول: إن الكنيسة تنقسم من جديد، بل نقول: إنها تستمر في انقسامها إلى أحزاب وجماعات، وينهش بعضها بعضًا"(١٧٨).

المطلب الثاني: فرق النصارى عقيب الانقسام

من المعلوم أن "المسيح لم يُنشئ الكنيسة ولم يُرِدْها، ولعلَّ هذه القضية أكثر الأمور المحقَّقة ثبوتًا لدى أيِّ باحث يدرس النصوص الإنجيلية من غير ما تحيُّز(١٧٩)"، ولكن تعددت الكنائس بعده وازدادت، وكلٌّ يزعم أنه على الحق، ومَن خالفه مخالف للحق، ولكن أقتصرُ هنا على ذكر ما تناولته سابقًا من كونِ الأشهر والأكثر ظهورًا من هذه الفرق هما فرقتان: الأرثوذكس، والكاثوليك، ولهم تعاليمهم الخاصة في وجود الله تعالى وصفاته، وفي التوحيد و التثليث، والخِلْقَة، والملائكة، والإنسان، وسرّ التجسُّد، والسيد المسيح، وسرّ الفداء، والروح القدس، والكنيسة المسيحية، وقانون الإيمان، وعواقب الإنسان(١٨٠).

---

(١٧٥) مقدمة تاريخ الانشقاق بين الكنيستين الشرقية والغربية من القرن الأول إلى القرن الحادي عشر، اللاذقي، الأرشمندريتي جراسيموس مسرَّة، مرجع سابق، (ص:٨).

(١٧٦) كنيسة مدينة الله أنطاكية العظمى، أسد رستم، مرجع سابق، (١٠/١).

(١٧٧) فتح العرب لمصر، ألفرد. ج. بتلر، مرجع سابق، (ص:٧١).

(١٧٨) تاريخ الفكر المسيحي، حنا جرجس الخضري، مرجع سابق، (٦٤٠/١).

(١٧٩) المسيحية، نشأتها وتطورها، شارل جنيبير، مرجع سابق، (ص:١٠٩).

(١٨٠) انظر: التعاليم الأرثوذكسية في الحياة المسيحية، إعداد وترجمة: الشماس مارسيل فائز، كيبيك،

ISSN: 2537-0405 eISSN: 2537-0413

والأرثوذكسية مأخوذة من كلمة: أرثوذكسي، وهي من الكلمات التي لها معانٍ متعددة وجميع هذه المعاني تُستعمل في اللغات الأجنبية في حديث الناس وفيما يكتبه الكُتَّاب، وهي كالآتي:

كلمة "أرثوذكس" يونانية الأصل، ومن معانيها: الرأي الحق، أو الصواب أو المستقيم، والرأي المتعارف عليه الذي تسير عليه أغلبية الناس.

وأما "الكاثوليكية" فهي كلمة مشتقة من كلمة يونانية هي "كاثوليكوس"، ومعناها: عامّ أو عالميّ، وقد دخلت هذه الكلمة ضمن المصطلحات النصرانية لتصف أمورًا كثيرة، منها:

١) الكنيسة المسيحية العالمية: المجرَّدة بغضِّ النظر عن مِلَلِها، فهي بهذا المعنى تعبّر عن القسط المشترك بين جميع الطوائف المسيحية على اختلاف مذاهبها. وهذا المعنى يُذكر في قداس الكنيسة القبطية الأرثوذكسية، صلاة خاصة من أجل الكنيسة .... الواحدة المقدسة الجامعة الرسولية.

٢) الوصف الذي تصف به كلُّ طائفة مسيحية نفسها متهِمةً بذلك الطوائف الأخرى بالزندقة أو المروق.

٣) وصف الكنيسة الموحَّدة قبل انقسامها إلى كنيسة شرقية وغربية[١٨١].

٤) الانحرافات العقدية لدى النصارى في دينهم.

إن الانحرافات العقيدة لدى النصارى لا تخفى على أحد، فمن هذه الانحرافات، عقيدة التثليث، وعقيدة الصلب والفداء، وتقديس الرهبان واتخاذهم أرباباً، والتحريف والتبديل في كتبهم، وقد تعامل معهم النبي ﷺ تعاملاً راقياً في توضيح هذه الانحرافات وتبيين هذه الضلالات التي ذكرها الله عز وجل في كتابه الكريم، حيث قال: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٧٣) أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٧٤) مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ انْظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انْظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ (٧٥) قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا

كندا، ١٩٩٩م؛ زاد الأرثوذكسية – سلسلة: تعرَّفْ إلى كنيستك –، الأب انطونيوس اليفيزوبولوس، ترجمة: قسطنطين ينّي، منشورات النور، ١٩٩٧م؛ الرهبنة الأرثوذكسية – كطريق حياة للأنبياء والرسل و الشهداء –، ايروثيئوس مطران نافباكتوس، ترجمة: نيفين سعد؛ مطبعة: الدلتا، ٢٠١٣م؛ ألسنا كلنا منشقين، المطران: إلياس الزغبي، مرجع سابق، مقدمة تاريخ الانشقاق بين الكنيستين الشرقية والغربية من القرن الأول إلى القرن الحادي عشر، اللاذقي، الأرشمندريتي جراسيموس مسرة، مرجع سابق.

(١٨١) انظر: الفروق العقيدية بين المذاهب المسيحية، إبراهيم السيد، كنيسة مار جرجس بالمعادي، (ص:٥-٧).

ISSN: 2537-0405 eISSN: 2537-0413

وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (٧٦) قُلْ يَاأَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ (٧٧)﴾ [المائدة: ٧٣-٧٧].

وعن عبادة بن الصامت، عن رسول الله ﷺ قال: "من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدا عبده ورسوله، وأن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، وأن الجنة حق والنار حق، أدخله الله الجنة على ما كان من عمل"(١٨٢).

وقد كانت حوارات النبي - صلى الله عليه وسلّم – مع النصارى قليلة جداً، منها ما أوردناه سابقاً في حواره مع وفد نصارى نجران، الذي بين فيه النبي - صلى الله عليه وسلّم – انحراف معتقدهم في عيسى عليه السلام، واستشهادهم من القرآن الكريم بأنه كلمة الله وروح منه، ولكن النبي - صلى الله عليه وسلّم – رد معتقدهم هذا الباطل، وبين عواره، وخطأه، بقوله تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [آل عمران: ٥٩].

قال الطبري: "يعني جل ثناؤه: إن شبه عيسى في خلقي إياه من غير فحل = فأخبرْ به، يا محمد، الوفدَ من نصارى نجران عندي، كشبه آدمَ الذي خلقتُه من تراب ثم قلت له:"كن"، فكان من غير فحل ولا ذكر ولا أنثى. يقول: فليس خلقي عيسى من أمه من غير فحل، بأعجب من خلقي آدم من غير ذكر ولا أنثى، وأمري إذ أمرته أن يكون فكان لحمًا. يقول: فكذلك خلقي عيسى: أمرتُه أن يكون فكانَ. وذكر أهل التأويل أن الله عز وجل أنزل هذه الآية احتجاجًا لنبيه ﷺ على الوفد من نصارى نجران الذين حاجُّوه في عيسى"(١٨٣).

كما أن النصارى جادلوا النبي - صلى الله عليه وسلّم – في قوله تعالى: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣١]، فعن عدي بن حاتم، قال: أتيت النبي ﷺ وفي عنقي صليب من ذهب. فقال: «يا عدي اطرح عنك هذا الوثن»، وسمعته يقرأ في سورة براءة: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [التوبة:

---

(١٨٢) أخرجه البخاري في الصحيح، كتاب أحاديث الأنبياء، بَابُ قَوْلِهِ {يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلا تَقُولُوا عَلَى اللهِ إلا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللهِ وَرُسُلِهِ وَلا تَقُولُوا ثَلاثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَكَفَى بِاللهِ وَكِيلا} قَالَ أَبُو عُبَيْدٍ كَلِمَتُهُ كُنْ فَكَانَ وَقَالَ غَيْرُهُ {وَرُوحٌ مِنْهُ} أَحْيَاهُ فَجَعَلَهُ رُوحًا {وَلا تَقُولُوا ثَلاثَةٌ}، (١٦٥/٤)، برقم: (٣٤٣٥)، ومسلم في الصحيح، كتاب الإيمان، باب من لقي الله بالإيمان وهو غير شاك فيه دخل الجنة وحرم على النار(٤٢/١)، برقم: (٢٨).

(١٨٣) تفسير ابن جرير الطبري، مرجع سابق (٤٦٧/٦-٤٦٨).

ISSN: 2537-0405 eISSN: 2537-0413

٣١]، قال: «أما إنهم لم يكونوا يعبدونهم، ولكنهم كانوا إذا أحلوا لهم شيئا استحلوه، وإذا حرموا عليهم شيئا حرموه»(١٨٤).

فبيَّن لهم الرسول - صلى الله عليه وسلّم - أنهم نظَروا إلى أحبارهم ورهبانهم على أنهم معصومون؛ يَملِكونَ حقَّ التحريم والإباحة، وهذا الحقُّ لله وحده، فمن يملكه يُشرِك بالله، ويكون مدعيًا للألوهية، فتلك عبادتهم إياهم؛ أليسوا يؤمنون بأن ما يُحِلُّونَه في الأرض يُحِلُّه الله في السماء، وما يُحرّمونه في الأرض يُحرّمه الله في السماء، فكأن الله تابعٌ لهم!! وكأنهم يقدّسون الأحبار والرهبان أكثرَ من تقديسهم لله!.

حقوق النصارى في زمن النبوة والخلافة الإسلامية.

إن المتأمل في جميع الشرائع والأديان يجد أن دين الإسلام هو الدين الذي حفظ للإنسان حقوقه أياً كان جنسه أو مكانته أو زمان عيشه؛ لأن الإسلام دين عالمي، ورسوله - صلى الله عليه وسلّم – أرسل للناس كافة، ولم يكن كغيره من الأنبياء - عليهم السلام- الذين أرسلوا لأقوامهم خاصة، لذلك من تأمل في حقوق الإنسان اليوم بحقوق الإنسان في الإسلام يجد التميز الواضح الذي سبق به الإسلام من حيث الشمول والسعة والعمق ومراعاة حاجات الإنسان الحقيقية التي تحقق له المنافع وتدفع عنه المضار، فليس هناك دين من الأديان أو شريعة من الشرائع على ظهر هذه الأرض أفاضت في تقرير هذه الحقوق وتفصيلها وتبيينها وإظهارها في صورة صادقة مثلما فعل الإسلام.

فمن الحقوق التي حظي بها غير المسلمين بشكل عام، والنصارى بشكل خاص في زمن النبي - صلى الله عليه وسلّم – ما يلي:

أولاً: حقهم في حرية العبادة والمعتقد: فقد كان النبي - صلى الله عليه وسلّم – يخير الناس بين الدخول في الإسلام أو البقاء على دينهم، ولكن بعد أن يعقد معهم عهداً يطمئنون به على دينهم وأعراضهم وأموالهم، ويتمتعون بذمة الله ورسوله، ولذلك سموا أهل الذمة، فعن بريدة -رضي الله عنه- قال: «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أمر أميرا على جيش أو سرية، أوصاه في خاصته بتقوى الله، ومن معه من المسلمين خيرا، ثم قال: اغزوا باسم الله، في سبيل الله، قاتلوا من كفر بالله، اغزوا ولا تغلوا، ولا تغدروا، ولا تمثلوا، ولا تقتلوا وليدا، وإذا لقيت عدوك من المشركين فادعهم إلى ثلاث خصال (أو خلال)، فأيتهن ما أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم، ثم ادعهم إلى الإسلام، فإن أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم، ثم ادعهم إلى التحول من دارهم إلى دار المهاجرين، وأخبرهم أنهم إن فعلوا ذلك فلهم ما للمهاجرين وعليهم ما على المهاجرين، فإن أبوا أن يتحولوا منها، فأخبرهم أنهم يكونون كأعراب المسلمين،

(١٨٤) أخرجه الترمذي في السنن، أبواب تفسير القرآن، باب ومن سورة التوبة (٢٧٨/٥)، برقم: (٣٠٩٥)، وقال: «هذا حديث غريب، لا نعرفه إلا من حديث عبد السلام بن حرب، وغطيف بن أعين ليس بمعروف في الحديث».

ISSN: 2537-0405 eISSN: 2537-0413

يجري عليهم حكم الله الذي يجري على المؤمنين، ولا يكون لهم في الغنيمة والفيء شيء إلا أن يجاهدوا مع المسلمين، فإن هم أبوا فسلهم الجزية، فإن هم أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم، فإن هم أبوا فاستعن بالله وقاتلهم، وإذا حاصرت أهل حصن فأرادوك أن تجعل لهم ذمة الله وذمة نبيه، فلا تجعل لهم ذمة الله ولا ذمة نبيه، ولكن اجعل لهم ذمتك وذمة أصحابك، فإنكم أن تخفروا ذممكم وذمم أصحابكم، أهون من أن تخفروا ذمة الله وذمة رسوله، وإذا حاصرت أهل حصن فأرادوك أن تنزلهم على حكم الله، فلا تنزلهم على حكم الله، ولكن أنزلهم على حكمك، فإنك لا تدري أتصيب حكم الله فيهم أم لا»(١٨٥).

ثانياً: حماية الأرواح والأموال والأعراض: تعهد الرسول ﷺ بحماية أرواحهم وأموالهم وممتلكاتهم وعدم التعدي عليهم أو أخذ أي شيء منهم بغير وجه حق، فعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما: عن النبي ﷺ قال: «من قتل معاهدا لم يرح رائحة الجنة، وإن ريحها توجد من مسيرة أربعين عاما»(١٨٦)، وروي أن رجلاً من المسلمين قتل رجلاً من أهل الذمة، فرُفع ذلك إلى النبي - صلى الله عليه وسلّم – فقال: (أنا أحق من أوفى بذمته)، ثم أمر به، فقتل(١٨٧).

وقال الشافعي: "وقد بلغنا عن عمر بن الخطاب أنه أمر أن يقتل رجل من المسلمين بقتل رجل نصراني غيلة من أهل الحيرة فقتله به وقد بلغنا عن علي بن أبي طالب أنه كان يقول إذا قتل المسلم النصراني قتل به"(١٨٨).

وكذلك لهم الحق في حفظ أموالهم، فتقطع يد من سرقها أو اغتصبها، ومن استدان منهم شيئاً وجب عليه رده، ويعاقب المماطل فيها، ولهم الحق في حفظ أعراضهم، بكف الأذى عنهم، والنهي عن غيبتهم؛ لأنهم بعقد الذمة وجب لهم ما للمسلمين، وقد سئل أحد الفقهاء من أصحاب الإمام مالك -رحمه الله- عن غيبة النصراني فقال: "أوليس من الناس؟ قالوا: بلى، قال: فإن الله عز وجل يقول: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ [البقرة: ٨٣](١٨٩).

---

(١٨٥) أخرجه مسلم في الصحيح، كتاب الجهاد والسير، باب تأمير الإمام الأمراء على البعوث ووصيته إياهم بآداب الغزو وغيرها (١٣٩/٥)، برقم: (١٧٣١).

(١٨٦) أخرجه البخاري في الصحيح، كتاب الجزية، باب إثم من قتل معاهداً بغير جرم (٩٩/٤)، برقم: (٣١٦٦).

(١٨٧) أخرجه الشافعي في مسنده (ص:٣٤٣)، والدارقطني في سننه (١٥٨/٤)، برقم: (٣٢٦١)، والبيهقي في سننه (٥٦/٨)، برقم: (١٥٩١٩).

(١٨٨) الأم، (٣٣٩/٧).

(١٨٩) ينظر: شرح صحيح البخاري لابن بطال (٢٤٧/٩).

ISSN: 2537-0405 eISSN: 2537-0413

وقال الماوردي: "فيجب على ولي الأمر أن يضع الجزية على رقاب من دخل في الذمة من أهل الكتاب؛ ليقروا بها في دار الإسلام، ويلتزم لهم ببذلها حقان: أحدهما الكف عنهم. والثاني: الحماية لهم ليكونوا بالكف آمنين وبالحماية محروسين"(١٩٠).

ثالثاً: عدم إجبارهم على القتال: لم يكن النصارى ملزمين بالاشتراك في الحروب، وكان عليهم دفع الجزية كضريبة رمزية مقابل حمايتهم، عوضًا عن الخدمة العسكرية.

رابعاً: المساواة أمام القضاء: كان للنصارى الحق في الاحتكام إلى قضاء الدولة الإسلامية والحصول على العدل في المعاملات والقضايا المختلفة.

أما في زمن الخلافة الإسلامية، كانت للنصارى (وأهل الكتاب عمومًا) حقوق محددة وواضحة في المجتمع الإسلامي، وذلك وفقًا لمبادئ الشريعة الإسلامية التي اعتمدها الخلفاء الراشدون ومن جاء بعدهم. هذه الحقوق تضمنت:

أولاً: حرية العبادة: كان للنصارى الحرية في ممارسة شعائرهم الدينية وعبادتهم في كنائسهم وأماكنهم المقدسة، ولم يُجبروا على اعتناق الإسلام.

ثانياً: حماية الأرواح والممتلكات: تمتّع النصارى بحماية الدولة الإسلامية لأرواحهم وممتلكاتهم. لم يكن مسموحًا بالاعتداء عليهم أو مصادرة ممتلكاتهم.

ثالثاً: العدالة والمساواة في المعاملات: كان للنصارى الحق في الاحتكام إلى القضاء الإسلامي في حال كانوا يرغبون في ذلك، وكان القضاة يحكمون بينهم بالعدل.

رابعاً: الجزية مقابل الحماية: كان على النصارى دفع الجزية كضريبة رمزية مقابل الحماية التي توفرها الدولة لهم. مقابل دفع الجزية، كانوا يُعفون من الخدمة العسكرية وكان يُنظر إلى الجزية كبديل عن الزكاة التي يدفعها المسلمون.

خامساً: حرية العمل والتجارة: كان للنصارى الحق في ممارسة مختلف المهن، مثل التجارة والحرف والزراعة، وكان لهم دور بارز في الحياة الاقتصادية للدولة الإسلامية.

إلى غير ذلك من الحقوق التي حظي بها غير المسلمين بشكل عام، والنصارى على وجه الخصوص في زمن النبي ﷺ وزمن الخلافة الإسلامية.

الصراع بين الإسلام والنصرانية

بدأت دعوة النبي ﷺ للنصارى بعد صلح الحديبية كما أسلفنا، ومنذ ذلك الحين والاحتكاك مع المسلمين من قِبل النصارى كان ظاهرًا، سواء أكان فكريًّا أم عسكريًّا، فالصراع الفكري كثير، ومن أمثلته: ما ذكره ابنُ هشام في وفد نصارى نجران حيث قال: "قدم على رسول الله ﷺ وفد نصارى نجران، ستون راكبًا، فيهم أربعة عشر

(١٩٠) الأحكام السلطانية (ص:٢٢٣).

ISSN: 2537-0405 eISSN: 2537-0413

رجلًا من أشرافهم، وفي الأربعة عشر منهم ثلاثة نفر إليهم يَؤُول أمرهم: العاقب، أمير القوم وذو رأيهم، وصاحب مشورتهم، والذي لا يصدرون إلا عن رأيه، واسمه عبد المسيح والسيد لهم، ثمالهم وصاحب رَحْلهم ومجتمعهم، واسمه الأيهم، وأبو حارثة بن علقمة، أحد بني بكر بن وائل، أسقفهم وحبرهم وإمامهم، وصاحب مدارسهم.

وكان أبو حارثة قد شرف فيهم، ودرس كتبهم، حتى حَسُنَ عِلْمُهُ في دينهم، فكانت ملوك الروم من النصرانية قد شرَّفوه ومَوَّلوه وأخدموه، وبنوا له الكنائس، وبسطوا عليه الكرامات، لما يبلغهم عنه من علمهِ واجتهادهِ في دينهم.

فلمَّا رجعوا إلى رسول الله ﷺ من نجران، جلس أبو حارثة على بغلةٍ له مواجِهًا لرسولِ الله ﷺ وإلى جنبه أخٌ له، يقال له: كوز بن علقمة -ويقال: كرز-، فعثرت بغلة أبي حارثة، فقال كوز: تَعِسَ الأبعدُ: يريد رسول الله ﷺ: فقال له أبو حارثة: بل أنتَ تَعِسْتَ! فقال: ولم يا أخي؟ قال: واللهِ إنه لَلنبيُّ الذي كنا ننتظر، فقال له كوز: ما يمنعك منه وأنتَ تعلم بذا؟ قال: ما صنع بنا هؤلاء القوم، شرَّفونا ومؤَّلونا وأكرمونا، وقد أَبَوْا إلا خِلَافَهُ، فلو فعلتُ نزعوا مِنَّا كلَّ ما ترى. فأضمر عليها منه أخوه كوز بن علقمة، حتى أسلم بعد ذلك. فهو كان يحدِّث عنه هذا الحديث.

ولما قدموا على رسول الله ﷺ المدينة، فدخلوا عليه مسجده حين صلَّى العصر، عليهم ثيابُ الحبرات، جُبَبٌ وأرديةٌ، في جمال رجال بني الحارث بن كعب.

يقول بعض من رآهم من أصحاب النبي ﷺ يومئذ: ما رأينا وفدًا مثلهم، وقد حانت صلاتهم، فقاموا في مسجد رسول الله ﷺ يصلُّون: فقال رسول الله ﷺ دَعُوهم. فصَلَّوا إلى المشرق.

فكلَّم رسولَ الله ﷺ منهم أبو حارثة بن علقمة، والعاقبُ عبد المسيح، والأيهم السيد، وهم من النصرانية على دين الملك، مع اختلافٍ من أمرهم، يقولون: هو الله، ويقولون: هو والد الله. ويقولون: هو ثالث ثلاثة، وكذلك قول النصرانية فهم يحتجُّون في قولهم: "هو الله" بأنه كان يُحيي الموتى، ويُبرئ الأسقام، ويُخبر بالغيوب، ويخلق من الطين كهيئة الطير، ثم ينفخ فيه فيكون طائرًا، وذلك كلُّه بأمر الله تبارك وتعالى.

فلمَّا كلَّمه الحبران، قال لهما رسول الله ﷺ: "أَسْلِمَا". قالا: قد أسلمنا. قال: "إنكما لم تُسْلِمَا فأَسْلِمَا". قالا: بلى، قد أسلمنا قبلك. قال: "كذبتما، يمنعكما من الإسلام دعاؤُكما لله ولدًا، وعبادتُكما الصليب، وأكلُكما الخنزير". قالا: فمَن أبوه يا محمد؟ فصمتَ عنهما رسولُ الله ﷺ فلم يجبهما.

فهذا الاحتكاك لم يكن الأوحد، بل تلته العديد من الاحتكاكات مع المسلمين، والمسلمون يبيّنون لهم الصوابَ والحقَّ بالتي هي أحسن كما أمر الله ﷻ فقال: ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا

ISSN: 2537-0405 eISSN: 2537-0413

وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿٤٦﴾﴾[العنكبوت: ٤٦]، وقال تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنزِلَتِ التَّوْرَاةُ وَالْإِنجِيلُ إِلَّا مِن بَعْدِهِ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٥﴾ هَا أَنتُمْ هَٰؤُلَاءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ ۚ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾﴾[آل عمران: ٦٤-٦٦]، وقال تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٨﴾ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَنتُمْ شُهَدَاءُ ۗ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٩٩﴾ يَا أَيُّهَا﴾[آل عمران: ٩٨-١٠٠] .

وبيَّن أسباب حقدهم على الإسلام والمسلمين فقال تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَاسِقُونَ ﴿٥٩﴾ قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ اللَّهِ ۚ مَن لَّعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ ۚ أُولَٰئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴿٦٠﴾﴾[المائدة: ٥٩-٦٠].

وبيَّن انحرافهم عن نهج الحق الذي أنزله عليهم فقال تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ ۗ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا ۖ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٦٨﴾﴾[المائدة: ٦٨] .

ودعاهم إلى الاقتصاد وعدم الغلوّ فقال تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ ۖ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ ۖ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾ لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۚ وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ

ISSN: 2537-0405 eISSN: 2537-0413

ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧٤﴾ مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۖ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ ۖ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلْآيَٰتِ ثُمَّ ٱنظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٧٥﴾ قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ۚ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٧٦﴾ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓا۟ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا۟ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا۟ كَثِيرًا وَضَلُّوا۟ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴿٧٧﴾﴾[المائدة: ٧٢-٧٧] .

ولكنهم أَبَوْا إلا الصراع مع المسلمين، وشَنُّوا حربًا ضَرُوسًا على الإسلام وأهله، ومنعوهم من الدعوة إلى الله ﷻ.

إذا تبيَّن هذا، فقد دَرَجَ مؤرخو المدرسة الأوربية القديمة ابتداءً بـ ولكين وانتهاءً إلى هانس ماير عبر سلسلة طويلة منهم على تحديد المدى الزمني للحركة الصليبية التي شنَّتها أوربا على المسلمين في الفترة الممتدَّة من القرن الحادي عشر إلى القرن الثالث عشر للميلاد(١٩١)، ولكن هذه النظرية أخذت تهتز أواخر القرن التاسع عشر، لجهود العديد من الباحثين الذين رأوا أن جذور هذه الحركة تمتدُّ إلى القرن السابع وما بعده، فالتحديد الزمني للحركة الصليبية من القرن الحادي عشر إلى الثالث عشر تحديدٌ خاطئ، يقول الأستاذ الدكتور سعيد عاشور عن هذا التحديد أنه "لا يقوم على أساس سليم، ولا يعتمد على دراسة الحركة الصليبية دراسة شاملة، وإنما يكتفي بعلاج مبتور يشمل جزءًا من تأريخ الحركة، ولا يعبّر عن جذورها وأصولها من ناحية؛ ولا عن ذيولها وبقاياها من ناحية أخرى"(١٩٢).

والصواب أن الحروب على الإسلام من جهة الغرب ليست منذ القرن الحادي عشر، بل منذ أن ظهر الدين الإسلامي بقدوم النبي محمد ﷺ، فنشبت معركة مؤتة في حياة النبي ﷺ، وكذلك وقع الصدام مع النصارى في غزوة تبوك، ومن ثم معركة اليرموك وغيرها، واشتدَّت المعارك بين المسلمين والنصارى في مطلع الألفية الثانية بما يُعرف بالحروب الصليبية.

ولم يكن المؤرخون العرب الذين يكتبون الأحداث ويدوّنونها يسمُّون هذه الحروب "الحروب الصليبية"، وإنما استخدموا كلمة "الفرنج"؛ أو "حركة الفرنج"؛

(١٩١) الحروب الصليبية في شمال إفريقيا وأثرها الحضاري، ممدوح حسين - شاكر مصطفى، دار عمار للنشر، عمان، الطبعة: الأولى، ١٤١٩-١٩٩٨م، (ص:١٠).

(١٩٢) الحركة الصليبية -صفحة مشرقة في تاريخ الجهاد العربي في العصور الوسطى-، سعيد عاشور، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٩٧١م، (٢٥/١).

ISSN: 2537-0405 eISSN: 2537-0413

ولعلَّهم لم يدركوا أبعاد هذه الحركة الصليبية لأنهم لم يروا غير نتائجها السياسية والعسكرية على أراضيهم(١٩٣).

واستُعمل الصليب رمزًا في هذه الحروب لما له من قدسية لدى الجماهير: "فالجنود يؤخذون بشكل أصيل يضفي على الصليبية صفة الحج المسلَّح: المنذر واستعادة الصليب هما العنصران الأساسيان اللذان يرتكز عليهما جمعُ الجنود وحسن سير كل حملة.

وإذا كان هناك جمعٌ كبير يسجِّل نفسه من أجل الصليبية، فإن ذلك كان تأثير الشعور الديني لدى الجماهير وبفعل قوَّة التبشير التي كانت تحفِّزها"(١٩٤)، فسُمِّي الصليبيون بهذا الاسم لأنهم نقشوا على صدورهم علامة الصليب، وهذا يؤكد أن الحرب في مبناها ومعناها كانت في الأساس حربًا دينية شنَّتها النصرانية على الإسلام وأهله.

الخاتمة

وهنا يأتي الجواب عن سؤال الإشكالية في هذه الرسالة

ما أبرز التطورات التي مرت بها النصرانية و أثرت فيها و في النصارى وما أبرز النتائج التي تمخضت عن مراحلها خلال خمسة قرون من القرن السادس إلى القرن الثامن الميلادي

يمكن أن نلخصها في الآتي:

أن الدِّين ثابت، وأن التجديد لا يطاله، وإنما نسميه تجديداً، بالنسبة للأمة، لا بالنسبة للدين الذي شرعه الله وأكمله، فإن التغير والضعف والانحراف إنما يطرأ مرة بعد مرة على الأمة، أما الإسلام نفسه فمحفوظ بحفظ كتاب الله تعالى وسُنة رسوله ﷺ المبينة له.

أن أركان العقيدة النصرانية المتمثلة في عقيدة الفدا، والصلب والقيامة، بعد تطورها توجت بالقول بعقيدة التثليث والتجسد الذي حملت لواءه الفرق الثلاثة التاريخية الكنسية وهي: فرقة الملكانية، والنسطورية، واليعقوبية، وأعطت هذه الفرق صوراً للتجسد الأفنوني ومدعمة لمبررات الاعتقاد في التجسد والتثليث بغرض الإقناع والمجادلة، فحاولت هذه الفرق بشتى الطرق تقريب القول بالتثليث وتألية المسيح وروح القدس، غير أنّ الأدلة النقلية والعقلية نفت ذلك.

أن النصرانية المتطورة خلال تلك القرون التي أخذتها بالدراسة إلى يومنا هذا هي نصرانية وليس الذي اختلق فيها كل التراكمات الموجودة حالياً ولا تمد بصلة إلى

---

(١٩٣) ماهية الحروب الصليبية، قاسم عبده قاسم، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، (ص:٩-١٠).

(١٩٤) تاريخ الفكر السياسي، جان توشار، تعريب: علي مقلد، الدار العالمية للنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٩٨٣م، (ص:١٦٠).

ISSN: 2537-0405 eISSN: 2537-0413

رسالة التوحيد الذي جاء بها المسيح عيسى عليه السلام.

الأثر الكبير للمجامع في تلك الحقبة وما قبلها كما رأينا في اللمحة على القرون الخمسة الأولى للميلاد في تحويل النصرانية وتطورها من مجمع إلى الذي يليه.

التوصيات:

١) إكمال مشروع البحث في النصرانية والنصارى عبر القرون الميلادية كلها.
٢) كتابة رسائل أكاديمية دقيقة فيما يتعلق بالتطورات الدينية التي طرأت على النصرانية كدين و النصارى كحاملين له.
٣) كتابة رسائل عن التجديد الديني الذي مر بالنصرانية والنصارى عبر القرون الميلادية وأثره الواضح في انحرافها.

إقامة مؤتمرات وندوات على مستوى علماء ومفكري العالم الإسلامي عن التحولات المجاميعية و الكنسية التي أثرت في تحول النصرانية وظهورها بالوجه الذي نراه اليوم.

ISSN: 2537-0405 eISSN: 2537-0413

فهرس المصادر والمراجع

أولا: القرآن الكريم.

ثانيا: الكتاب المقدس.

ثالثا: المصادر باللغة العربية

ابن الأثير، مجد الدين. (١٩٧٩). النهاية في غريب الحديث والأثر. (تحقيق: طاهر الزاوي ومحمود الطناحي). بيروت: المكتبة العلمية.

ابن القيم، محمد بن أبي بكر. (١٩٩٦). هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى. (تحقيق: محمد أحمد الحاج). جدة: دار القلم.

بباوي، جورج. (د.ت). هل تؤمن المسيحية بإله واحد. موقع الدراسات القبطية والأرثوذكسية.

التنبكتي، أحمد بابا. (٢٠٠٠). نيل الابتهاج بتطريز الديباج. طرابلس: دار الكاتب.

السقار، منقذ بن محمود. (٢٠٠٧). هل العهد الجديد كلمة الله. مصر: دار الإسلام للنشر والتوزيع.

عياض، القاضي عياض بن موسى. (١٩٩٥). ترتيب المدارك وتقريب المسالك. (تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض). مكة المكرمة: مكتبة نزار مصطفى الباز.

وايلز، موريس. (١٩٩٦). الهرطقات المتعلقة بالنماذج الأصلية أو التوراتية الآريوسية عبر العصور. أوكسفورد: دار نشر جامعة أوكسفورد.

ISSN: 2537-0405 eISSN: 2537-0413